Alive PDF Merger: Order full version from www.alivemedia.net to remove this watermark!

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية الكبرى في الصحراء الجزائرية في النصف الثاني من القرن 19م (مشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874م أنموذجاً)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

فوزيـــــة بن صـــــوشة

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة
أبوبكر الصديق حميدي	أستاذ محاضر _أ_	رئيسا
خير الدين شترة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا
حليم سرحان	أستاذ مساعد _أ_	مناقشا

السنة الجامعية: 1436هـ/ 1437هـ - الموافق لـ 2015م/2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية الكبرى في الصحراء الجزائرية في النصف الثاني من القرن 19م (مشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874م أنموذجاً)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

فوزيـــــة بن صـــــوشة

لجـنة المناقـشة

الاسم و اللـقب	الرتـبة	الصـفة
أبوبكر الصديق حميدي	أستاذ محاضر _أ_	رئيسا
خير الدين شترة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا
حليم سرحان	أستاذ مساعد _أ_	مناقشا

السنة الجامعية: 1436هـ/ 1437هـ - الموافق لـ 2015م/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

ربي نحمدك حمدًا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك إنه لا يسعني في هذا المقام إلا أن أهدي ثمرة جهدي:

إلى شهداء الوطن.

إلى كل طلاب العلم والمعرفة.

إلى أعز ما أملك في هذا الكون والديّ الكريمين أطال الله في عمرهما اللذان قاسماني عناء مشواري الدراسي ولم يدخرا أي جهد في ذلك.

إلى إخوتي وأخواتي وأقربائي، إلى من وسعهم قلبي ولم تكفي ذكرهم صفحاتي.

إلى كل من أناروا لي درب العلم ومكّنوني من بلوغ هذا المقام أساتذتي المحترمين في كافة أطواري الدراسية.

كما أهدي هذا العمل المتواضع الى كل زميلاتي وزملائي بقسم التاريخ .

و أخيرا الى كل من وضع بصمته في هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة.

كلمة شكر وعرفان

الحمد لله الذي هدانا و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أشكر المولى القدير ذو الجود و الفضل الكبير على توفيقه لي

لإتمام هذا العمل .

تحية تقدير وعرفان إلى الأستاذ المشرف شترة خير الدين الذي.

أمدني بالمساعدة وكان لي العون والمعين في إتمام هذه الرسالة

. أدام الله عزه و زاده علما.

إلى كل من أنار لي الدرب وأضاف و لو بكلمة في رصيدي المعرفي من أساتذة

كما أشكر كل عمال و موظّفي قسم التاريخ إضافة إلى عمال مكتبة الجامعة،

وإلى كافة القائمين على متحف المجاهد بالمسيلة، وكل الزملاء والزميلات بقسم

التاريخ خاصة دفعة 2016و إلى كل من مدّ لي يد العون و

شجّعني من قريب أو بعيد،

وأخيرا أشكر عمال مكتبة الهداية

على إخراج هذا العمل

في حلّته النهائية.

المقدمة

1. الإطار العام للموضوع:

تعرضت الجزائر كغيرها من البلدان في العالم خاصة الإفريقية منها إلى تحرّشات استعمارية أوربية بشكل مستمر أدى في الأخير إلى احتلالها في 5 جويلية 1830م، ولذالك لم يكن الاحتلال وليد الساعة بل إنّه فكرة قديمة مُترسخة لدى فرنسا، ويرجع ذلك إلى موقعها الإستراتيجي الممتاز وثرواتها خاصة الطبيعية منها، من أجل ذلك سعت إلى تنفيذ مبتغاها، وعملت على إيجاد الذّرائع بكل السبل فكان آخرها الحادثة التي أفضت إلى الاحتلال ألا وهي حادثة المروحة التي جعلت منها سببًا للاحتلال وأظهرته أمام الدول الكبرى حيث حاولت تبرير فعلتها بتأديب الداي حسين وإسترجاع كرامة فرنسا المُهانة، غير أن فرنسا لم تتوقف في طموحها عند تأديب الداي على أسوار مدينة الجزائر، بل توغلت في مدنها مُستغلة في ذلك كل إمكاناتها المادية والبشرية ولم تقف عند ذلك بل سعت إلى الوصول إلى أقصى حدودها الجنوبية التي كانت تسعى جاهدة إلى احتلالها نظرًا لما تشكله الصحراء من أهمية بالغة تأخذ حيزًا كبيرًا من اهتمامات فرنسا الاستعمارية وذلك لتسطير جملة من المشاريع في مختلف أشكالها وألوانها، وهذا هو المغزى من اختيارنا للدراسة التي جاءت تحت عنوان: المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية الكبرى في الصحراء الجزائرية خلال النصف الثاني من القرن19م (مشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874م أنموذجاً)، حيث أن السلطات الاستعمارية أولت اهتماماً كبيرًا للصحراء الجزائرية نظرًا لما تتوفر عليه من ثروات طبيعية وخيرات متنوعة، لذلك عملت على احتلالها وتنفيذ مشاريع عدة لتكريس السيطرة الاستعمارية الفرنسية عليها.

2. دوافع اختيار الموضوع:

تأتي دراستنا لهذا الموضوع انطلاقًا من دوافع ذاتية وأخرى موضوعية على وجه الخصوص نذكر من بينها الفضول الذي انتابنا لمعرفة المشاريع الاقتصادية التي سطّرتها فرنسا للاستيلاء على الصحراء الجزائرية الشاسعة ومن بينها البحر الصحراوي الداخلي على وجه الخصوص والذي يُعد من المشاريع التي كانت بعيدة عن اهتمامات الكتّاب والمؤرخين، وبذلك أصبح من بين المشاريع المجهولة لدى الكثير من الجزائريين قبل غيرهم، هذا ما عزّز لدينا الدوافع الموضوعية التالية:

- الموضوع في حد ذات يعتبر نقطة مهمة في تاريخ الجزائر وجدير بالبحث.
- المكانة التي يحضى بها هذا الإقليم في إهتمامات السلطات الإستعمارية.

- محاولة الكشف عن بعض المشاريع التي قامت بها فرنسا في الصحراء الجزائرية واخترنا مشروع البحر الصحراوي الداخلي أنموذجًا عنها.
- سعيًا منّا لإثراء هذا الموضوع والتنبيه إلى عدد من الكتابات والدراسات التي تناولت الموضوع ولم يتم الاعتماد عليها، ذلك أن الدراسات السابقة للموضوع على منوال ما كتبه المرحوم الدكتور يحي بوعزيز تبقى غير كافية للإلمام بجوانبه وتفاصيله.

3. إشكالية الموضوع:

ولمعالجة هذا الموضوع ارتأينا طرح الإشكالية التالية: **أي حيز شغلته الصحراء الجزائرية في المخططات الاقتصادية الفرنسية خلال فترة الاحتلال؟ وهل تجسّد مشروع البحر الصحراوي الذي يُعدُ أحد أهم أهدافها؟**

وللتفصيل في هذه الإشكاليات طرحنا مجموعة من التساؤلات الفرعية وحاولنا الإجابة عليها وهي كالآتي:

- ما هي الدوافع التي أدت بالفرنسيين إلى استكشاف الصحراء الجزائرية؟
- كيف سعت فرنسا إلي تكريس وجودها في الصحراء الجزائرية؟ وما هي طرقها في تجسيد ذلك؟
- كيف كانت ردّة فعل السكان المحليين إزّاء الزحف الفرنسي في الصحراء الجزائرية؟
- ماذا مثّل مشروع البحر الصحراوي الداخلي بالنسبة للمشاريع الاقتصادية الفرنسية الرّامية إلى استغلال الصحراء الجزائرية؟

واخترنا لهذه الدراسة الإطار الزمني الواقع في النصف الثاني من القرن19م، إلى مطلع القرن العشرين مع التركيز على بداية فكرة المشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874م.

4. المناهج العلمية المتبعة:

ولكون هذا الموضوع يعالج جانبًا تاريخيًا فقد اعتمدنا على كل من المنهجين التاريخي الوصفي الذي يسمح بتتبع الأحداث عبر مراحلها التاريخية ووصفها على الصورة التي جرت عليها، واعتمدنا عليهما في سرد مختلف الأحداث التاريخية ووصفها وتصنيفها حسب تسلسلها الزمني في أغلب الأوقات وكذا المنهج **الاستدلالي** الذي اعتمدنا عليه في دراسة مختلف الوقائع والأحداث ومناقشتها وربطها ببعضها البعض قصد الوصول إلى استنتاجات وأحكام عامة.

5-خطة الموضوع:

وللإلمام بجوانب هذا الموضوع قمنا بتقسيمه إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، وملاحق وفهارس، أمّا الفصل الأول فكان "بعنوان الحركة الإستكشافية الأوربية والاهتمام بالصحراء الجزائرية"، مقسّم إلى ثلاثة عناصر عالج الأول الاهتمام الأوربي بالصحراء الإفريقية، والثاني البعثات الأوربية الاستكشافية للصحراء الجزائرية، أما العنصر الثالث فكان بعنوان البعثات الفرنسية لاستكشاف الصحراء الجزائرية، وفي الفصل الثاني المُعنون بـ"المشاريع الفرنسية التوسعية في الصحراء الجزائرية" الذي عالجنا في عنصره الأول التوسع العسكري الفرنسي في الصحراء الجزائرية، أما الثاني فكان بعنوان ردود فعل سكان الصحراء الجزائريين اتجاه التوسع العسكري، وكذا العنصر الثالث الذي جاء بعنوان تجسيد المشاريع الاستعمارية في الصحراء الجزائرية، وضمّ هذا الأخير نماذج عن المشاريع الفرنسية ذات البعد الدّيني والثقافي والاقتصادي، في حين تطرّق الفصل الثالث الذي يحمل "عنوان مشروع البحر الداخلي 1874م، الأهداف والأبعاد" فقد سلّط الضوء على دوافع هذا المشروع في العنصر الأول، وتجسيد المشروع و أهدافه في العنصرثاني، أما الثالث فقد عالج ردود الفعل الوطنية والفرنسية من المشروع.

6-المصادر والمراجع المعتمدة:

للتوسع في هذا الموضوع لجأنا إلى استخدام مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية التي تناولت جوانب من هذه الدراسة، والتي تنوّعت من حيث التخصص بين الدراسات الجغرافية والتاريخية من مصادر ومراجع جاءت باللّغتين العربيّة والفرنسية، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر، من الكتب العربية، كتاب وصف إفريقيا لمؤلفه حسن الوزّان الذي يُعد من الكتب المهمة في مثل هذه الدراسات بناءً على تخصصه في وصف بلدان أفريقيا، وكتاب آخر بعنوان رحلة لاستكشاف إفريقيا لمؤلفيه" دنهام" و" كلابرتون" و"أودني" بالإضافة إلى مراجع ثانوية ككتاب تاريخ الرّحلة والاستكشاف في البر والبحر لصاحبه إسماعيل العربي، ومن المراجع أيضاً كتاب (مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية) للأستاذ يحيى بوعزيز، وكتاب (الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية(1837-1934م) لإبراهيم مياسي، أما باللغة بالأجنبية فقد كان تركيزنا واضحاً على دراسة الأستاذ هنري دفريي (Henri duveyrier)، المعنونة بـ(premier rapport sur la mission des chotts du Sahara de Constantine)، هذا بالإضافة إلى عدد من الدوريات والرسائل الجامعية. ويمكن أن نقر أنها لم تكن كافية لتحقيق المبتغى الذي نريده.

7-صعوبات الموضوع:

ولأن أيّ دراسة لا تخلو من العوائق التي تواجه الباحث فإنني قد واجهت مجموعة من العقبات أثناء إنجاز هذه الدراسة لعل أهمها:

- اصطدام رغبتنا في إعداد عمل ناجح ومفيد مع عاملي الزمن ونقص الإمكانات. والتي لم تسمح لنا بإثراء هذا الموضوع بالمزيد من الدراسات ورغم وصولنا إلى المكتبة الوطنية ومركز الأرشيف الوطني إلا أننا اصطدمنا بعوائق إدارية .
- حداثة الموضوع وبالتالي قلة مادته العلمية وان وجدت فهي باللغة الأجنبية التي نشكو نقصًا في إتقانها والعجز عن ترجمتها.

هذا ولا أدعي أني أتيت على الأمر كله وإنما قصدت توضيح بعض معالم هذا الموضوع الذي يحتاج إلى نفس أرق، ومصادر أدقّ وذكاء أعمق، كما أنني لا أدعي لعملي هذا العصمة أو الكمال، فهذا شأن الرسل والأنبياء، ومن ظنَّ أنه قد أحاط بالعلم فقد جهل نفسه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(سورة الإسراء: الآية (85))، يقول الثعالبي: «لا يكتب أحد كتابًا فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غيرها أن يزيد فيه أو ينقص منه»، هذا في ليلة، فكيف في أشهر معدودة؟ وقال العماد الأصبهاني: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده، لو غيرت هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

الفصل الأول

الحركة الإستكشافية الأوروبية والاهتمام بالصحراء الجزائرية

أولاً: الاهتمام الأوروبي بالصحراء الإفريقية

ثانياً: البعثات الأوروبية الاستكشافية للصحراء الجزائرية

ثالثاً: البعثات الفرنسية الاستكشافية للصحراء الجزائرية

أولاً: الاهتمام الأوروبي بالصحراء الإفريقية:

تعد الصحراء الإفريقية الكبرى ذات أهمية، بما تحتله من موقع استراتيجي جغرافي وسطي هام، فهي تعتبر بمثابة جسر عالمي يربط الأجزاء شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، ورغم ذلك ضلت طيلة قرون عديدة مجهولة لديهم، ولم يقدم الرحالة القدماء والرومان إلا معلومات ضئيلة ومحدود ويعد الحالة العرب المسلمون هم أول من تعرف عليها، أمثال ابن حوقل (ق10م)، والبكري (ق11م)، والإدريسي (ق12م)، وكذلك ابن بطوطة الذي توغل في السودان في رحلته الثالثة، بالإضافة إلى الرحالة أبو حسن الوزان الذي قام برحلة إلى الصحراء[1]، ومن الرحلات التي فصل فيها القول في وصف إفريقيا تسعة رحلات، رحلة إلى الشواطئ الغربية القريبة من فاس، ورحلة إلى وسط المغرب، وأخرى إلى بلاد السودان، ورحلة إلى الأطلس الكبير، ورحلة إلى بلاد حاحا 1514م، ورحلة من مراكش إلى سوس, وأخرى للحجاز، ورحلة إلى الأستانة للانتقال إلى البلاد الليبية والتونسية في طريق الرجوع إلى المغرب[2]، بالإضافة إلى رحلة العياشي إلى توات والمنيعة وورقلة وسوف وطرابلس ومصر وغيرها.[3]

ولقد أثار استكشاف الصحراء الإفريقية اهتمام الأوروبيين، فنجد أنه على الرغم من قسوة مناخها وسكانها من الطوارق، إلا أن استكشاف الصحراء ظل هدف كثير من المغامرين حيث نجد أن الظروف الجغرافية لعبت دورها في استكشاف الصحراء الكبرى، دون أن نسى الظاهرات الجيومورفولوجية في الصحراء الكبرى منها ظاهرة المنخفضات الصحراوية أي الواحات والأودية الجافة التي أصبحت طرق للقوافل تقطع الصحراء، كل ذلك كان له دور في الكشوف الجغرافية.[4]

لذا نجد أن الأوروبيون أبدوا اهتمامهم بالصحراء عندما شرعوا في الكشوفات الجغرافية البحرية الاستعمارية خلال القرن 15م وما بعده، وفي أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م اشتد

1- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934م)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص- ص (395-396).

2- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج1, تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص- ص(8-10).

3- إبراهيم مياسي، نفسه، ص397.

4- عيسى علي إبراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، (د.م)، 2007م، ص- ص(194-195).

التنافس الاستعماري بين الفرنسيين والإنجليز والألمان حول القارة الإفريقية[1]، حيث كان من أسباب هذا التنافس:

- إيجاد مجال لإسكان فائض السكان على الآماد البعيدة.
- إيجاد مجالات للصناعة والتجارة الأوربيتين فيما يخص الأسواق والمواد الخام.
- القيام بدراسات علمية متنوعة طبيعية وبشرية واقتصادية.[2]

لذلك يمكن القول أن الإنجليز هم أول من أبدى اهتمامهم بإفريقيا والصحراء، بعد أن تقلص نفوذهم في أمريكا الشمالية نتيجة فقدان مستعمراتهم هناك، فأسسوا عام 1788م جمعية دواخل إفريقية، حيث كلفوها بتجنيد المغامرين وتوجيههم إلى إفريقيا لاستكشافها وغزوها، فجندت عددا لا بأس به منهم وكلفتهم بالقيام برحلة إلى أعماق الصحراء، وقامت في البداية بإرسال ثلاثة من الرحالين وهم هورن ماHorn-Men الألماني ولوكاسLukas، وليدباردLydbard في رحلات متتابعة ولكنهم ماتوا جميعا.[3]

وكذلك من المغامرين الذين أرسلهم الإنجليز لإسكتشاف الصحراء جون لديار Ledgardjohn الذي عبر الصحراء من الشرق إلى الغرب عبر وادي النيل إلى أعالي النيجر، كما قام الماجور هوجتونLemajor Houghton برحلة إلى دواخل القارة من السنغال وقتل على مشارف الصحراء، وفي أعوام (1795-1797م) قام مونقو بارك Mungo Park برحلة إلى السودان من بيزانيا إلى قامبيا بغرب إفريقيا ووصل إلى باما كو وأعالي نهر النيجر، كما أذنت جمعية دواخل إفريقيا للألماني هورنمان Hornnemain بالقيام برحلة إلى النيجر انطلاقا من مصر وتوفي في تومبوكتو، وقد اهتم الأوروبيون أكثر باستكشاف إفريقيا خلال حروب نابليون الأول في أوروبا، فعاد مونقوبارك مرة أخرى إلى النيجر عام 1805م، وقام كذلك الألماني رونتجن Roontgen برحلة من المغرب الأقصى إلى الصحراء.[4]

كما جهزت بريطانيا عدة رحلات أخرى إلى الصحراء ومجرى نهر النيجر بعد عام 1815م، فانطلقت البعثات من غرب إفريقيا وشمالها وشرقها ومن أهمها رحلة أودني وكلابرتون وديكسون

1- ميلود سرير وآخرون، الواقع الأنثروبولوجي للصحراء الجزائرية في استراتيجية المشاريع التوسعية الاستعمارية خلال القرنين (19-20م)، وحدة بحث، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2009م، ص 13.

2- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص62.

3- ميلود سرير، نفسه، ص13.

4- يحي بوعزيز، نفسه، ص- ص(62-63).

دينهام[1]، فبدأ كلابرتون الرحلة من شمال إفريقيا، حيث وصل إلى طرابلس عام 1822م مع أودني و دينهام واتجهوا إلى بحيرة تشاد وانفصل دينهام عنهم واتجه لاستكشاف نهر "شاري بينما" واتجه كلابرتون واودني إلى جنوب النيجر عبر بلاد الهوسا، حيث وصلا إلى مدينة كوكا عبر بحيرة تشاد[2] وفي هذا الصدد يقول: «لازلنا نسير بالقرب من المستنقعات التي تحيط ببحيرة التشاد، وكالعادة كنا نتوقف لمدة ساعتين بسبب حرارة النهار ومع غروب الشمس كنا قد قطعنا تسعة عشر ميلا، وكنا نلف وندور حتى وصلنا إلى أكواخ الشوا البيدوماس حيث عسكر باركا جانا»[3]، وقد اتصلت الجمعية الإفريقية بالمغامر النقيب غوردون لانغ الذي اشتهر برحلاته الاستكشافية ومغامراته داخل إفريقيا، حيث طلبت منه الجمعية أن يلتحق بمدينة تمبوكتو وينضم إلى رحلة كلابرتون الموجودة في سوكوتو.[4]

وفي عام 1827م قام كايل Caillie برحلة من سيراليون إلى نهر النيجر ثم وصل إلى ميناء تمبوكتو، وبعدها عبر الصحراء الكبرى واتجه إلى مراكش، كما قام بيرتون برحلته الشهيرة إلى إفريقية حيث كان الغرض منها الوصول إلى بحيرة تنجانيقا ومعرفة حدودها، وكذلك محاولته الوصول إلى منابع النيل، كذلك في عام 1841م وصل دافيد ليفنجستون إلى خليج جوا ومنه إلى مستعمر الرأس (الكاب) وإلى بتشوانا لاند، وفي عام 1849م قام ليفنجستون مع وليم أوزيلWilliam Oswell ومري Murray بأول رحلة استكشافية عبر فيها صحراء كلهاري ووصل إلى بحيرة نجامي Ngami في عام 1850م، ثم وصل إلى نهر الزمبيزي عام 1851م.[5]

كما أرسلت ألمانيا الرحالة الشهير هنري بارث للوصول إلى نهر النيجر، فوصلوا إلى بورنو عام 1851م، ثم بعد ذلك قصد بارث بحيرة التشاد واستطاع أن يقدم معلومات دقيقة ومهمة عن الصحراء وتشاد، حيث رصد الكثير من المعلومات الجغرافية والجيولوجية وحتى التاريخية للسكان.[6]

1- إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د.م)، (د.ت)، ص44.

2- دنهام ,كلابرتون ,أودني، رحلة لاستكشاف إفريقيا، ج2, تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ص5.

3- نفسه، ص43.

4- إبراهيم مياسي، نفسه، ص- ص(45-46).

5- يسرى عبد الرزاق الجوهري، الكشوفات الجغرافية دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 1984م، ص- ص(220-225).

6- إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962م)، دار هومه للطابعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص- ص(33-34).

ولقد توغل المغامر الإنجليزي هارسي جنستون في منطقة كلمانحارو الجبلية، وقد توالت البعثات التبشيرية والإرساليات على أوغندا بعد المؤامرة التي قام بها الإنجليزي سبيك.[1]

كما كلفت الجمعية الملكية بلندن ستانلي Stanlay القيام برحلة لتحقيق ثلاثة أغراض هي: الطواف ببحرية فكتوريا وأيضا الطواف ببحيرة تنجانيقا وكذلك الوصول إلى نهر اللوالابا، فغادر إنجلترا وبدأ رحلته فوصل إلى الشاطئ الجنوبي لبحيرة فكتوريا، وفي مارس 1870م اتجه صوب بحيرة تنجانيقا، ثم اتجه بعد ذلك إلى نهر اللوالابا[2]، ويعتبر رونيه من أوائل المغامرين الفرنسيين الذين توغلوا في أعماق الصحراء، حيث نجد أنه عبرها من السنغال إلى تمبوكتو، ثم عاد عن طريق توات وتافيلالت إلى فاس والرباط وطنجة[3]، وفي إفريقيا الاستوائية كثف المغامرون الفرنسيون نشاطهم في حركة التوسع الاستعماري تحت ستار الاستكشاف، والتجارة ومن أبرزهم سافوريتان دوبرازا الإيطالي الذي بدأ حركة الاستكشاف شمال الكونغو عام 1875م، أما في شرق إفريقيا، اهتمت فرنسا بمدخل البحر الأحمر الجنوبي، وأوفدت الضابط هنري لامبير Henri Lambert عام 1883م لكي يقوم باختيار نقطة ومركز يصلح لرسو السفن والمراكب الفرنسية هناك.[4]

ثانياً: البعثات الأوروبية الاستكشافية للصحراء الجزائرية:

كان الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية مركزيا وسابقا عن الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة عام 1830م، إذ نجد أن الرحالة الأوروبيون قد دونوا معلومات قيمة عن الجنوب الجزائري، وقد استفاد الضباط الفرنسيون مما تركه هؤلاء الرحالة في معرفة أحوال الصحراء وفي توجيه حملاتهم التوسعية لهذه المنطقة.[5]

ففي عام 1825م كلفت الحكومة البريطانية الماجور الكساندقوردن لاين Lemajor Alexandr Cordon Laing بالقيام برحلة إلى إفريقيا، فغادر طرابلس في ماي 1825م، وزار غدامس وقاده الشاب عثمان بن الحاج بكري بن الحاج الفقيه إلى عين صالح، وأزاود، ثم إلى

1- يحي بوعزيز، الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص64.

2-شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط2، دار الزهراء، الرياض، 2002م، ص- ص (33-35).

3- إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي...، المرجع السابق، ص- ص(46-48).

4- يحي بوعزيز, نفسه، ص48.

5- احميدة عميراوي، سليم زاوية، محمد السعيد قاصري، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916م)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص31.

تمبوكتو إلى أن اعترضته مشاكل وصعوبات من طرف سكان بريش، فعزم على التوجه إلى أروان بصحبة أحمد عبده ولد الرحال، وفي الطريق قتله مرافقه ولد الرحال لأسباب اختلف فيها.[1]

دون أن ننسى الضابط لابي الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر، أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية التي كانت فيما بعد أحسن الأداة وظفها الفرنسيون للتوسع والتحكم في الصحراء[2]، ومن جهة أخرى فقد وظف الأوروبيون الجانب العلمي في دراسة الصحراء، إذ اهتم أفازاك Avezac بدراسة المنطقة[3]، وأنجز عام 1836م دراسة جغرافية عن منطقة الصحراء ضمنها خريطة هامة أوضح عليها المعالم الرئيسية خاصة طرق المواصلات القديمة وكيفية استغلالها من طرف فرنسا، حيث أُسست في سنة 1937م لجنة علمية فرنسية قصد دراسة إمكانات الجزائر وكيفية استثمارها.[4]

كما شجعت رحلة رينية كاييه بريطانيا على أن تعاود استكشاف الصحراء التي تفصل شمال إفريقيا عن النيجر, فأرسلت سنة 1836م الرحالة جون دافيدوس الذي قتل في تندوف.[5]

وقد عبر الرحالة الألماني موريتس فاغنر الذي زار الجزائر سنة 1838م، عن ذلك الحنين والشوق، حيث قال: «...وكان حديث شيوخ القبائل التي تسكن القبلة والصحراء، أحب هذه الأحاديث إلى نفسي تقريبا، فتلك المناطق لا تزال مجهولة عندنا نحن الأوروبيون، ولذلك كانت تبدوا لي أدنى ملاحظة بمثابة أثر تذكاري، فكنت أسارع إلى تسجيل كل ما ذكره الشيوخ عن مدن الواحات، وحياة سكان الصحراء»[6].

في مطلع الخمسينات بدأت الرحلات والبعثات تكثر نحو الجنوب حيث قام هنري بارث الألماني برحلتين في عامي 1849-1855م، من طرابلس إلى غدامس وغات بفزان وإلى تشاد وتومبكتو عبر قورارة وتوات وتيديكت وقد رافقه صديقاه ريتشارد وأوفيرويج وقد فقدهما في رحلته.[7]

وفيما بين 1862-1867م قام الرحالة جرهارد رولفGerhard Rohlfes برحلات عديدة لاستكشاف الصحراء، مما جعله ينضّم إلى فرقة اللفيف الأجنبي الفرنسي التي كانت تعمل في الجزائر وتعلم حينذاك اللغة العربية، وبعدها اتجه في البداية إلى المغرب الأقصى حيث تجول في

1- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص64.

2- ميلود سرير, وآخرون، المرجع السابق، ص26.

3- احميدةعميراوي, وآخرون، المرجع السابق، ص32.

4- ميلود سرير وآخرون، نفسه، ص26.

5- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص33.

6- ميلود سرير وآخرون، المرجع اسابق، ص19.

7- يحي بوعزيز، المرجع اسابق ، ص67.

الجزء الجنوبي فاتجه نحو السوس، وبعده إلى وادي درعا ومنه إلى تافيلالت ثم فيقيق، فوهران، وفي الرحلة الثانية انطلق رولف من طنجة إلى واد زيز عبر الأطلس ومن هناك إلى وادي ساورة، فإيغلي[1]، ثم بني عباس ثم أدرار، وفي 17 سبتمبر 1864م، دخل إلى عين صالح، ثم غدامس، ومنها إلى طرابلس.[2]

ثم نجح بعد ذلك إيطاليان هما الدكتور بلجرينوماتوشي Pellegrino Metteucci والملازم الفونسور ماريا ماساري Aflanso Maria Massari في اجتياز إفريقيا من الشرق إلى الغرب، وكان أول أوروبيين يعبران القارة من الشرق إلى الغرب شمال خط الاستواء، وقد أثمرت رحلتهما على نتائج هامة[3]، بالإضافة إلى الرحلة التي قام بها الألماني أيروين باري حيث أنه توغل في سلسلة جبال آير في جنوب الهقار التي يقطنها طوارق الجنوب سنة 1877م، وكانت هذه الرحلة عبارة عن مهمة كلفته بها الجمعية الجغرافية بيرلين.[4]

كما قام دوفيريي بإعداد رحلته الاستكشافية التي أراد أن تكتسي طابعا علميا بكثير من العناية والتدقيق، فاطلع على كثير من الكتب، واستشار كثيرا من الأوروبيين المتخصصين في شؤون الصحراء وكذلك قام في البداية بتعلم الأدوات وطرق تحديد المواقع طولا وعرضا، وهو أمر حيوي في كل محاولة للقيام باستكشاف علمي، وقد زار عددا من المتاحف وتمكن خلال هذه الزيارات من إتمام معلوماته في الجيولوجيا وعلم الطبيعة، كما طلب من المستشرق والناقد الشهير روتان مدّه بمعلومات عن الإيثنولوجيا والسلالات الصحراوية[5]، وبعد سنة من التحضير والاستعداد تيقن الرحالة من أنه وضع القواعد التي ستمكنه من نجاح رحلته وقد كتب فيما بعد يقول: «كنت أعرف أن الرحلة التي أقوم بها ليست خالية من الأخطار، ولكنني كنت أشعر بثقة كبيرة في قوتي وأنا آمل أن أتجنبها بالصبر والحذر والنشاط، وأن تنتهي هذه الرحلة على خير وجه وأكمله»، فنزل إلى مدينة الجزائر وسنه لا تتجاوز التاسعة عشر سنة، ومن الجزائر اتجه دفيريي إلى غرداية، ومن غرداية سافر إلى القليعة التي تبعد بأكثر من ألف كيلو متر عند مدينة الجزائر والتي لم تكن قد وطأتها قدم أوروبي قبله.

1- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص- ص(416-417).

2- إسماعيل العربي، تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص315.

3- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص417.

4- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص309.

5- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص321.

بالإضافة إلى الرحلة التي قام بها المستكشف النمساوي أوسكار لانز إلى تندوف، حيث وثق علاقاته بالشيخ علي شيخ المدينة وحاكمها الذي عرض عليه أن يتولى تنظيم رحلته إلى تمبوكتو فقبل لانز هذا العرض، وسافر من مدينة تندوف برفقة الحاج علي أبو طالب وشخص إسباني مستعرب اسمه بينيتز، ووصل إلى تمبوكتو في أول يوليو سنة 1880م، وفي غضون هذه الرحلة الشاقة حدث أن سار المستكشف ثلاثين يوما كاملة دون أن يصادف في طريقه إنسانا.[1]

وعند هذه المرحلة وبعد استكشاف الإنجليز والألمان للصحراء في كلا الاتجاهين: شمال، جنوب، شرق وغرب، قرر الفرنسيون أن الوقت قد حان للدخول إلى مسرح الصحراء لمشاركة منافسيهم في لعبة الاستكشاف.[2]

ثالثاً: البعثات الفرنسية الاستكشافية للصحراء الجزائرية

اختلفت دواعي وأهداف الرحلات باختلاف أصحابها والجهات التي تقف وراءهم، فمنهم من كانت تدفعه المغامرة نحو المجهول واكتشافه ومنهم من كان يدفعه البحث عن مصادر الثروة والمال، ومنهم من كانت له دواعي دينية واضعا على عاتقه مهمة التبشير، ومنهم من كان يقوده الفضول المعرفي وخدمة العلوم والجغرافيا، بالإضافة إلى الدوافع المتصلة بالتطورات في أوروبا، والتي منها: تطور وسائل النقل والمواصلات والطباعة والجمعيات الجغرافية والمجلات والتوسع الاستعماري.[3]

حيث نجد أن أولى مراحل استكشاف الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية هي ترجمة وطبع أمهات كتب التاريخ والرحلات التي ألفها علماء ورحالة مسلمون خلال العصر الوسيط، وأبرز هذه الكتب تاريخ ابن خلدون (732-808هـ/1332-1406م)، حيث بادروا إلى طبعه سنة 1847م بعد احتلال فرنسا للجزائر، بالإضافة إلى كتاب المسالك والممالك لابن عبيد الله البكري، كما اعتمدوا كتب أخرى كثيرة من أحدثها وصف إفريقيا للحسن الوزان المعروف بليون الثاني، وقد طبع الفرنسيون وترجموا كتب أخرى في نفس المجال من بينها رحلة الحسين بن محمد السعيد الورتلاني (1713-1778)م، ورحلة الأغواطي ورحلة الدرعي، ومن أجل تحديث المعلومات

1- إسماعيل العربي، نفسه، ص ص309، 323.

2- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص69.

3- محمدو بن محمذن، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)، مجلة العلوم الإنسانية، ع20، 20 ديسمبر 2003م، ص- ص(158-162).

الواردة في هذه الكتب، قام الفرنسيون بتسيير بعثات استكشافية كان منها ما هو علمي بحث ومنها ما هو تنصيري صرف، ثم تأتي البعثات العسكرية المحدودة ثم البعثات السياسية النادرة.[1]

لقد أرسلت فرنسا العديد من الطلائع الاستكشافية للجزائر قبل الاحتلال تحت غطاءات مختلفة تارة باسم التجارة، وأخرى باسم السياحة، مثل بوتان الذي كلفه وزير البحرية بالتوجه إلى الجزائر لجمع معلومات حول إمكانياتها الدفاعية، وقد ظفر الموفد روني كاي من حوالي سنة 1824-1828م بقلب أول مغامر فرنسي في عمق الصحراء الجزائرية، إذ أنه عبرها انطلاقا من السنغال حتى مدينة تمبوكتو، ولقد كان يتطلع إلى اخترق الصحراء الكبرى من السنغال إلى مصر والحجاز في زي تاجر متظاهر بالإسلام.[2]

بعد احتلال مدينة قسنطينة سارعت فرنسا إلى إرسال بعثات استطلاعية لاستكشاف خبايا هذه المناطق وكونت لجنة علمية فرنسية عام 1839م، ضمت عددًا من العلماء والضباط العسكريين للبحث في مختلف جوانب الحياة بالصحراء، وشرعت فرنسا من أجل مد نفوذها إلى أعماق الصحراء في تشجيع وإرسال البعثات الاستكشافية وتكثيفها، وبعد احتلال بسكرة في مارس 1844م، بدأت السلطات الاستعمارية في استغلال المعلومات ودعمتها ببعثات ذات طابع تجاري في ظاهره.[3]

ومع مطلع الخمسينات بدأت الرحلات الفرنسية تزداد نحو الجنوب الجزائري، فقام الدكتور الألماني هنري بارث برحلتين الأولى في سنة 1849 والثانية في سنة 1855م من طرابلس عبر غدامس وغات بفزان وإلى تشاد وتمبوكتو عبر قورارة وتوات وتيديكلت، وفي نفس الفترة قام إدوارد فوجيل برحلة انطلقت من طرابلس إلى أعماق الصحراء الجزائرية ولقي حتفه بمدينة الوادي سنة 1856م[4]، كما قام بيربروجر برحلة سنة 1850م لاستكشاف الواحات التونسية الجزائرية وتوجه إلى وادي سوف وذلك من خلال قيامه بترجمة مخطوط العياشي والذي نشره سنة 1846م، حيث نجد أنه استفاد منه في هذه الرحلة.[5]

1- التواتي بومهلة، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، دار المعرفة، الجزائر، 2012، ص- ص (26-27).

2- احميدة عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص- ص(70-72).

3- التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص27.

4- احميدة عميراوي وآخرون، المرجع السابق ، ص72.

5-علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية (1882-1954م)، رسالة دكتوره، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2009، ص16.

بالإضافة إلى بعثة راندون بين سنتي (1858-1859)م لاستكشاف المنطقة الواقعة بين ورقلة وغات، وقد انتشرت وقائع رحلته سنة 1859م، وكانت تمهيدا لرحلة هنري دوفيرييه في الصحراء سنة 1859-1861م[1]، والذي بدأ رحلته من سكيكدة يوم 08 ماي 1859م، واتجه نحو بسكرة عبر قسنطينة وباتنة، ووصل إلى قرارة بميزاب، ثم انتقل إلى غرداية، ثم اتجه إلى متليلي، وبعد ذلك رجع إلى غرداية ومنها إلى الأغواط قصد التوجه إلى استكشاف قصور توات وبلاد الطوارق، كما دخل دوفيرييه مدينة غدامس سنة 1860م، ومكث بها مدة طويلة ثم توجه إلى تمبوكتو.[2]

وقد قام خلال حوالي خمسين سنة عدة رجال فرنسيين بأدلاء جزائريين باستكشاف الصحراء، ومنها إلى إفريقيا، ومن ذلك بعثة إسماعيل بوضربة وموتيلانسكي وأطانوا، وكان العلماء الفرنسيين مدنيين وعسكريين مسلحين بالعلم واللغة وحب المعرفة والإخلاص لوطنهم، وكذلك حب السيطرة والاستعمار، والبعثات العلمية لم تكن نحو الصحراء وإفريقية فقط، ولكن أيضا نحو تونس والمغرب والسنغال ومصر، حيث ذهب رينييه باصييه وغيره إلى السنغال وتونس لدراسة المخطوطات واللهجات بهما، وأرسل الفرنسيون بعثات سرية وعلمية وعلنية إلى المغرب الأقصى قبل احتلاله وبعده.[3]

وقد أكثر الفرنسيون من إرسال الحملات العسكرية إلى منطقة الهقار والتوارق بعنوان: الاستكشاف والاستعلام، وانكبوا على دراسة المنطقة من جميع النواحي، وتوافد على المنطقة عدد من المغامرين من جنسيات مختلفة، ومن ضمن هذه البعثات الاستكشافية التي مهدت للاستعمار الفرنسي بمنطقة التوارق والهقار[4] بعثة أيدين من جانيت إلى بيلما، وبعثة دو إلى عين صالح وتيديكلت، وبعثات فلاتز إلى بلاد التوارق، وبعثات فلاماند إلى عين صالح وتيديكلت، وبعثة فيلات لاختراق الصحراء من تيديكلت إلى النيجر عبر الهقار[5]، وكذلك بعثة تاردتانو إلى جنوب

1-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص462.

2- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص- ص (410-412).

3- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج6، دار الغرب الاسلامي ,بيروت ،1998م, ص ص (102-103).

4- يحي بوعزيز، اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه، مجلة الأصالة، ع 72، أوت 1979م، ص- ص(54-56).

5- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص 281.

طرابلس وغدامس، وإلى بلاد التوارق أزجيل، وبعثة أيروين دوباري إلى غات والتوارق أزجيروتاسيلي، وكان فيرديناندو فو Ferdinande Fourzau من الضباط الذين قاموا بعدة رحلات إلى الجنوب، وعددها تسعة، اخترق خلالها الصحراء الكبرى طولاً وعرضًا مع الضابط لامي Lamy، حيث أنه تحدث على الطرق الثلاثة التي تعرف عليها في منطقة غدامس عام 1892م.[1]

كما قام الضابط ميري mèry برحلة إلى غدامس صحبة ميرشير وبولينياك، واهتم بها سيرفان ديسيبلاسServan Desplaces، وقد قام ميري كذلك برحلات إلى بلاد التوارق أزجير من أجل الحصول على حرية المرور للقوافل الفرنسية إلى السودان الأوسط، ونجد بأن اهتمام كوفي انصب على دراسة فروع قبائل التوارق جنوب عين صالح، في حين ركز ديريكا فيكس على النتائج العلمية التي توصلت إليها بعثة فلاتز، وذلك من خلال رسائل الفرنسيين الذين شاركوا فيها، وقد قام فيكتور لارقو برحلة إلى مناطق الزيبان وواد ريغ، والحمادة الصخرية، وايغرغر والعرق الكبير، وغدامس والتوارق وسوف، وسجل تفصيلات واسعة عن التوارق في رحلته الثالثة إلى غدامس ما بين عامي 1876-1877م.[2]

بالإضافة إلى رحلة جيرهارد روهلفس والذي قام برحلات عديدة لاستكشاف الصحراء، وفي سنة 1899م وضع المستكشف الفرنسي إدوارد بلانك خريطة للطرق التجارية عبر الصحراء، كما عمل شارل لافيجري في النصف الثاني من القرن 19م على تأسيس إرساليات تنصيرية كان هدفها نشر المسيحية وتسهيل مهمة الفرنسيين في الاحتلال، ومن أشهر رهبان الإرساليات التنصيرية في صحراء الجزائر الأب دي فوكو.[3]

وقد تمحورت اهتمامات الفرنسيين حول الصحراء الجزائرية في ثلاث محاور هي:

- الغزو الفرنسي الاستعماري بمحاولة التعرف على إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية لاستغلالها واستثمارها، وعلى اكتشاف المظاهر الجغرافية التضاريسية والمناخية والطوبوغرافية والطاقة المائية الجوفية الكامنة، كما اقترن الغزو بدراسة المجموعات السكانية وعاداتها وتقاليدها وتاريخها السياسي والحضاري.
- برز كنتيجة للاهتمام الأول ولخدمته وتدعيمه، ويتمثل في محاولة وضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية والبرية، وأسلاك الهاتف لتسهيل سبل النقل في ظروف آمنة للقوات العسكرية

1- يحي بوعزيز، اهتمامات الفرنسيين...، المرجع السابق، ص- ص(54-56).

2- نفسه، ص- ص(55-62).

3- التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص- ص(35-38).

والمغامرين، كما حاولوا أن يستغلوا طرق القوافل الصحراوية حتى يستفيدوا منها في مشاريعهم الاستعمارية.

- أما المحور الثالث فبرز كنتيجة للاهتمامين السابقين لخدمتهما وتدعيمهما، ويتمثل في محاولة خلق بحر داخلي صحراوي من اجل إحداث تغيير جذري في الظروف الطبيعية والمناخية القاسية للصحراء.[1]

والظاهر أن الانشغالات الفرنسية بالصحراء الجزائرية لم تكن وليدة مرحلة البعثات الاستكشافية بل كانت سابقة لها وقد تمثل ذلك في المحاولات الفرنسية الأولى بغرض استمالة أعيان الصحراء والتعرف على البنية الاجتماعية والدينية والنفسية للصحراويين[2].

1- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص- ص(64-65).

2- أحمد مريوش، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1919، مجلة المصادر، ع11، السداسي الأول .

الفصل الثاني

المشاريع الفرنسية التوسعية في الصحراء الجزائرية

أولاً: التوسع العسكري الفرنسي في الصحراء الجزائرية

ثانياً: ردود فعل سكان الصحراء تجاه التوسع العسكري

ثالثًا: تجسيد المشاريع الاستعمارية في الصحراء الجزائرية

أولاً: التوسع العسكري الفرنسي في الصحراء الجزائرية

مما لاشك فيه هو أن احتلال فرنسا للصحراء الجزائرية يدخل ضمن التصور الشامل للاحتلال الفرنسي للقطر الجزائري، وتوسعها في أرجائه، إن دوافع احتلال فرنسا للصحراء الجزائرية متنوعة ومتعددة، وهي على العموم دوافع سياسية وأخرى اقتصادية وعسكرية مرتبطة ومتداخلة ومتكاملة بعضها ببعض، لذلك فالدوافع السياسية تتمثل في:[1]

- محاولة تفكيك المجتمع الجزائري وتقسيمه.
- السعي إلى تعزيز الوجود الاستعماري الفرنسي بالمنطقة.
- التمهيد للبرنامج التوسعي الاستعماري وتعزيزه من خلال محاولة حصار تونس عسكريًا واقتصادياً من ناحية الجنوب الشرقي وحصار المغرب الأقصى من ناحية الجنوب الغربي الجزائري.

أما الدوافع الاقتصادي فتمثلت في:

- الاستحواذ على الثروات الطبيعية والمعدنية والطاقوية وتحقيق استثمار صناعي في الصحراء الجزائرية وفي هذا الصدد يقول الاقتصادي الفرنسي بول ليروا بوليو P.Leroy Beaulieu: «يتراءى لنا الصحراء الجزائرية تحتوي على جانب كبير من الثروة المعدنية والمدخرات المنجمية المتنوعة».

- استغلال الطرق التجارية الصحراوية للسيطرة على خيرات إفريقيا من جهة واستغلال الصحراء كسوق استهلاكية لمنتجات أوروبا من جهة أخرى، وفي هذا الصدد يقول المارشال سولت Soult «إن الصحراء في هذه الفترة يمكن اعتبارها أهم مركز للبحث عن الأسواق التجارية الرابطة بين الصحراء والشمال الإفريقي من جهة والصحراء الجزائرية وإفريقيا السوداء من جهة ثانية».

- ولقد اهتمت فرنسا بوضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية والبرية وأسلاك الهاتف لتسهيل التنقل للقوات العسكرية بين مختلف المناطق الصحراوية.

أما الدوافع العسكرية فتمثلت في:

- قطع الطريق على دعم أهالي الصحراء لإخوانهم المقاومين في التل.
- احتواء الثورات الشعبية في الصحراء الجزائرية والحركات التحررية في مستعمرات فرنسا الإفريقية من خلال اتخاذ الصحراء الجزائرية قاعدة سياسية وعسكرية.

1 – إبراهيم مياسي، توسع الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص– ص(69–70).

- جعل الصحراء الجزائرية قاعدة عسكرية خلفية تُمون أوربا.[1]

ونجد أن كل المعلومات المتحصل عليها عن طريق ترجمة وطبع كتب التاريخ والرحلات والمعلومات وغيرها، دفعت الفرنسيين إلى التوسع في أعماق الصحراء للسيطرة على كامل التراب الوطني وتقرر في عام 1840م احتلال البلاد كلها، وعين الجنرال بيجو حاكما عام 1841م، فاستهل حكمه بتطبيق الاستيطان الرسمي في مختلف أنحاء البلاد بما فيها الجنوب[2]، ولذلك يمكن تقسيم الحملات التوسعية العسكرية الفرنسية للصحراء الجزائرية إلى ثلاثة أقسام هي:

أ. الحملات التوسعية العسكرية في القسم الصحراوي للأوسط:

- **إخضاع الزعاطشة:**

يعتبر سقوط الزعاطشة في يد السلطة الفرنسية إثر الحملة العسكرية يوم 24 سبتمبر 1849م بداية الدخول الفرنسي القوي إلى الصحراء، بعد احتلال باتنة وبسكرة عام 1844م، حيث كانت هذه الحملة بقيادة سان جرمان[3]، وكان عدد القتلى من الفرنسيين 164 منهم ضباط، وعدد الجرحى 671، وفي الصف الجزائري عدد كبير، ومنذ ذلك الحين بدأت فرنسا تتطلع إلى وضع يدها على الجنوب الجزائري، وهو ما نلمسه في الخطاب الذي أرسله المارشال سولت تحت إشراف وزير الحربية إلى الملك الفرنسي ومن أهم ما جاء فيه: «يجب أن تولف الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى المناطق الواقعة تحت التلال صنفا ثالثا من الجهات الإدارية ففي هذه الجهات لا أثر للمعمرين وأن الجيوش لم تتواجد بها إلا عرضا لقمع الفوضى أو لإعداد ظروف ملائمة لإقامة العلاقات التجارية أو توسيعها، وهي مناطق تفتح لنا المجال لطرق هامة في الحركة المؤمنة، ومن علامات تغلبنا أن جلالتكم تقضي بتعيين قواد من الأهالي في هذه المناطق».[4]

- **احتلال الأغواط:**

كانت الأغواط التي تنطلق منها الاتصالات بين الجنوب الوهراني والجنوب القسنطيني تعد من الواحات الأولى التي قبلت بالاستعمار، والتي لم تقدم مساعدتها للأمير عبد القادر، وكان الحاكم يعتبرها نقطة إستراتيجية حيث راسل وزير الحرب يقول أن أهمية هذا المركز ليست في حاجة إلى إثباتها بالدليل، ولذلك يجب إقامة حامية معتبرة في هذه النقطة بقيادة ضابط فرنسي وبذلك تصبح

---

1 – التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص– ص(21–24).

2 – نفسه، ص40.

3– سان جرمان: قائد المكتب العربي ببسكرة، تمكن من القضاء على ثورة النمامشة.

4 – ميلود سرير وآخرون، المرجع السابق، ص –ص(114–115).

الأغواط الامتداد الجنوبي لاحتلالنا المنتظم للجزائر، وستسطر معالم الحدود القصوى التي لا يمكننا تجاوزها بدون مبالغة[1]، وقد اعتبر الفرنسيون عندما احتلوا مدينة الأغواط أنهم قد احتلوا عاصمة ثانية للجزائر ذلك لموقعها الممتاز، وقد بدأت معارك غزو الفرنسيين للأغواط في 21 نوفمبر 1852م، وفي 4 ديسمبر 1852م سقطت مدينة الأغواط في أيدي الفرنسيين[2]، وكان صدى سقوط الأغواط واسعًا في كامل الصحراء، حيث يتردد بين الناس أن الفرنسيين قد كسبوا "دزاير" أخرى في الجنوب تشبيها بما وقع في الجزائر العاصمة سنة 1830.[3]

ب. الحملات التوسعية العسكرية في القسم الأوسط الشرقي:

منذ الاحتلال الفرنسي المباشر لمدينة قسنطينة ومدينة باتنة تطلعت القوات الفرنسية إلى مد نفوذها نحو الجنوب الشرقي وقد شمل هذا القسم منطقة وادي سوف وتقرت ومنطقة الهقار.

- **احتلال وادي سوف:**

بدأت فرنسا تفكر في احتلال إقليم سوف منذ الأيام الأولى من سقوط مدينة قسنطينة 1837م بعدما برهنت الأحداث أن سوف أو ما يعرف بصحراء قسنطينة هي القاعدة الخلفية للمجاهدين والزعماء، لذا عملت السلطات الفرنسية على مد احتلالها إلى سوف، لذلك أرادت جس نبض سكان المنطقة، فبعثت بإحدى شيوخ أولاد عمر ليخبر أهل سوف البلاغات والإعلانات التي أصدرها الوالي العام سنة 1845م، وقد تقبل سكان هذه المنطقة الإعلانات بقبول حسن للسير نحو إقليم وادي سوف، ومن هنا بدأ الاهتمام الفرنسي يزداد بالمنطقة، وفي سنة 1848م شرعت الإرساليات الاستكشافية في التوافد على سوف، وبعد أن مهدت هذه البعثات الطريق للقوات الفرنسية لاحتلال سوف، وفي خريف 1854م راجت أخبار ببسكرة داخل الأواسط الاستعمارية مفادها أن القوات الفرنسية تتأهب للقيام بعمليات عسكرية للهجوم على إقليم سوف لتغزوه، وفي 30 ديسمبر وصل الجيش الفرنسي إلى إقليم سوف، ودخل في 13 ديسمبر 1854م، إلى أول بلدة من إقليم سوف، وفي عام 1885م، صدر قرار حكومي بإنشاء ملحقة بالوادي فانتقلت الفرق العسكرية لتتركز بالوادي ابتداء من 31 ماي 1887م،

1 – شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر الغزو وبداية الاستعماري (1827–1871م)، تر: جمال فاطمي، نادية الأزرق، فتحي سعيدي، حسين بن قرين، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008، ص657.

2 – التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص– ص(54–57).

3 – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص125.

وبمقتضى القرار الحكومي بتاريخ 1 جانفي 1893م القاضي بإنشاء دائرة تقرت ارتبطت ملحقة الوادي بها، وبهذا توسع الاستعمار الفرنسي إلى سوف بعد رحلة شاقة وعسيرة دامت حوالي نصف قرن.[1]

- **احتلال تقرت:**

وصل في شهر مارس 1853م طابور فرنسي إلى مدينة بسكرة تحت قيادة العقيد ديفو قائد منطقة باتنة وتوجه صوب تقرت من أجل غزوها[2]، وقد ساهمت الاتفاقية التي وقعت بين الفرنسيين وأهل ميزاب يوم 29 أفريل 1853م في توغل القوات الفرنسية حتى مشارف مدينة تقرت ولم تمض سنة واحدة عليها (أي 1854م) حتى هاجموها بحجة مطاردة الثائر الشريف، وخلال خريف 1854م جهزت السلطات حملة عسكرية بقيادة كل من "مارميه و"ديفو" و" جان" واشتبكت مع الثوار في معركة جرت في المقرين "معركة المقرين" يوم 28 نوفمبر 1854م، وتمكنت القوات الفرنسية من دخولها يوم 25 ديسمبر وعينوا فرحات بن السعيد حاكما على تقرت وسوف ونواحيها.[3]

- **إخضاع منطقة الهقار:**

إن الإدارة الفرنسية وظفت جميع الاحتمالات التي سوف تنجر عن توسعها في أقاليم الصحراء، وذلك بعدما تمكنت من السيطرة على مناطق عديدة ما بين 1900-1903م مثل تيديكلت وقورارة وإقليم توات، وقد عينت الإدارة الفرنسية الضابط لابرين على رأس القيادة العسكرية التي استحدثت لحكم الجنوب سنة 1902م، وهي فترة الحاكم العام في الجزائر المدعو "جونار"، وقد عمل القائد لابرين على جعل منطقة عين صالح قاعدة لقيادته العسكرية، واستقدم الأب الروحي "دوفوكو"[4] الذي كان متواجد في بني عباس حتى يعاونه في استمالة السكان ونشر المسيحية وفي نفس الوقت كلفت الإدارة العسكرية الضابط كوتينست Cittonest للقيام بحملة على ما تبقى من أراضي الجنوب الجزائري، وقد توجهت الحملة من منطقة أمقيد باتجاه أدلس شمال شرق منطقة الهقار، واستعمل فيها الجيش الفرنسي سياسة الأرض المحروقة، وكان الهدف من ذلك هو إبادة كل كائن حي يتعرض

---

1 - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص- ص(169-197).

2 - علي غنابزية، دور وادي سوف في معركة المقارين (1854م) وآثارها على المقاومة المسلحة في المنطقة الجنوبية الشرقية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، يوليو 2010، ص152.

3 - احميدة عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص- ص(47-48).

4 - **دو فوكو:** ولد في 15 سبتمبر 1853م، بمدينة ستراسبورغ في فرنسا، لقب دي فوكو في 09 جوان 1901م كاهنا من طرف مونتتي بحضور بوني وبعدها بشهور قليلة سافر إلى الجزائر، ليستقر في الصحراء الجزائرية لمدة 15 سنة، أي من 1901م إلى 1916م، للمزيد ينظر: احميدة عميراوي، وآخرون، السياسية الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص130.

لطريقه بالمنطقة، وإدخال الرعب في نفسية سكان الواحات والقبائل الرحل وتهجيرهم إلى خارج الحدود الجزائرية، وتمكن كوتينست من التوغل داخل الصحراء واستطاع الاستيلاء على منطقة تازروت ومنها توجه نحو منطقة تين ترابين لكنه اصطدم بالمقاومة الترقية التي تمكن الجيش الفرنسي من دحرها ثم عمل على توسيع نفوذه فوصل إلى منطقة وادي تيت[1]، والتي حدثت فيها معركة تيت عام 1902م، التي اختلق لها الاحتلال الفرنسي في عين صالح الأسباب لخوضها حسب تقرير الضابط الفرنسي الملازم كوتينست Cittonest الذي قاد الجيش الفرنسي في هذه المعركة[2]، وبعد الدرس الذي لقنه التوارق للسلطات العسكرية في معركة وادي تيت تيقنوا أن التوغل والتوسع في صحراء الهقار شبه مستحيل ولهذا التجأ النقيب كوفي Cauvet قائد ملحقة عين صالح والذي عوض النقيب شاردني Chardenet في مطلع عام 1902م إلى الاتصال بموسى أق مستان للتفاوض معه نظرا لنفوذه الواسع لدى توارق الشمال، وذلك من أجل التوسع الفرنسي في منطقة الهقار، وبعد ترويض موسى آق مستان اقتنع بالتفاوض مع الفرنسيين ليشاركوا في السلطة فأبرم مع السلطة العسكرية لعين صالح الصلح يوم 21 جانفي 1904م، وفي الحقيقة أن هذه المعاهدة هي تسليم مقاليد الأمور في الهقار إلى قوات الاحتلال الفرنسي.[3]

ت. الحملات التوسعية العسكرية في القسم الصحراوي الغربي:

إن الحديث عن هذا القسم يتطلب منا الرجوع إلى سنة 1844م و 1845م و 1847م، حيث تمثل السنة الأولى معركة "وادي إيسلي" بالمغرب الأقصى، والثانية معاهدة لاله مغنية والثالثة توقف الأمير عبد القادر عن الحرب[4] بعدما كان كفاحه هو تأكيد لوجود القومية الجزائرية التي كانت مشاعرها كامنة في أعماق الشعب الجزائري[5]، واستماتتهم في سبيل الدين والشرف والوطن[6]، وبناء على هذه الأحداث مدت فرنسا يدها إلى التوسع نحو الجنوب، ففي سنة 1845م استولى بيري على

1 – أحمد مريوش، المرجع السابق .

2 – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص517.

3 – نفسه، ص 530.

4 – احميدة عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص59.

5 – ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 2001م، ص23.

6 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 187.

قصور جميات وتيستيطين ورسول، وبرازينه، وفي سنة 1847م أشرف على مناطق أولاد سيدي الشيخ إلى واد الناموس.[1]

- **احتلال عين صالح وقورارة وتوات:**

تمكن الفرنسيون في مطلع القرن 20م من احتلال عين صالح، وواحات تيديكلت وفورارة وإيجلي وتيميمون وفقيق وشاروين وتاليمين، وبني سمير في الجنوب الوهراني فيما بين عامي 1900-1903م وعين لابيرين على رأس القيادة العسكرية التي استحدثت لجنوب الجزائر الصحراوي عام 1903م، فاتخذ عين صالح مركزا لقيادته[2]، وكان انتصار الفرنسيين في معركة الدغامشة فاتحة لدخولهم إلى منطقة توات حيث عبر الجنرال سيرفيير إلى رقان آخر واحة في أقصى جنوب توات يوم 03 جويلية 1900م، وبعد أسبوع انطلق شمالا عبر واحات المنطقة إلى مدينة أدرار، وتم احتلال كولومب بشار سنة 1903م من طرف الجنرال ليوطي، أما تندوف فلم يتمكن المستعمر من دخولها إلى غاية 1932م حيث استعان بالحركيين.[3]

- **إخضاع منطقة الساورة:**

عين السيد شارل جونار Charles Jonnart الخبير بالشؤون الأهلية على رأس ولاية الجزائر العامة للمرة الثانية وذلك يوم 11 ماي 1903م، فأسرع إلى تطبيق وتنفيذ سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب، وبعدها قام بجولة تفقدية في الجنوب الغربي، فتعرض لهجوم قام به سكان "زناقة"، حيث كان الرد شرسا من قبل القوات الفرنسية، وهو القصف المدفعي يوم 8 جوان مما اضطر السكان إلى طلب الأمان من الحكومة الفرنسية فمنحتهم إياه[4]، إن الحملات التوسعية العسكرية في الأقسام الثلاثة الأوسط والشرقي والغربي للصحراء الجزائرية كانت تتم ببطء وتدرج مستعملة في ذلك عدة أساليب مختلفة.

ثانياً: ردود فعل سكان الصحراء تجاه التوسع العسكري

كانت الصحراء الجزائرية برقعتها الجغرافية مسرحا لكثير من الأحداث وخاصة الحملات التوسعية العسكرية الفرنسية التي شنتها على الأقسام الثلاثة الأوسط والشرق والغرب والتي ضاق من

1 – احميدة عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص59.

2 – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص72.

3 – التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص– ص(58–59).

4 – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص– ص(496–497).

خلالها السكان أبشع الأساليب القمعية، بعد سقوط المقاومة في الشمال وبالتالي أصبحت الصحراء الجزائرية معقل للثوار وأرض المقاومات الشعبية.

أ. المقاومة في القسم الصحراوي الأوسط:

- **ثورة الزعاطشة:**

من دوافع اندلاعها رفض الشعب الجزائري القاطع للاحتلال الفرنسي والإصرار على مواصلة الجهاد كامتداد للثورة التي قادها الأمير عبد القادر[1]، واستمرت ثورة الزعاطشة عدة شهور من 16-07 إلى 26 نوفمبر 1849م، وشملت الأوراس والحضنة أيضا، واستنفذت من العدو معدات ضخمة، واشتركت فيها الخنقة وبسكرة وطولقة وأولاود جلال وبوسعادة، وسريانة وواحات عديدة أخرى مثل فرفارو ليشانة وساهم في إثارتها وقيادتها عدد من رجال الدين البارزين شيوخ الطرق الصوفية أمثال عبد الحفيظ الخنقي[2] والصادق بن الحاج[3] وغيرهم، واستطاع الشيخ بوزيان أن يجند للثورة عددا من المرابطين والمجاهدين في أماكن بعيدة نوعا ما، وكانت خطة الثوار هي الهجوم على الحامية الفرنسية في بسكرة وتطهير الناحية منها، وأول فشل جناه العدو كان على كاربوشيا قائد مركز باتنة، فتقدم نحو الزعاطشة بقوة تقرب ألفي جندي في 16 جويلية، ولكنه واجه ثورة عارمة كلفته 31 قتيلاً و 117 جريحًا، وفي شهر سبتمبر أخذت الثورة منعطفا جديدا، أي إعلان الجهاد من قبل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، وتقدمه بقوة ضخمة نحو سريانة، وكان قائد العدو وهو سان جرمان، فخرج إلى الشيخ بقوة عسكرية فيها كل أنواع المرتزقة، وأثناء المعركة استشهد الشيخ عبد الحفيظ، كما قتل سان جرمان، وهذا يعتبر الفشل الثاني للعدو، وقد ضرب الحصار على الواحة من 20 أكتوبر إلى 26 نوفمبر[4]، وقاموا بذبح ذي كل كبد حواء فيها، فيما انقضى أمر السكان جميعا حول الفرنسيون نقمتهم إلى المساكن والديار والأشجار فأعدموها تماما[5]، وانتهت في الأخير باستشهاد الشيخ بوزيان.[1]

---

1 التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص75

2 – **عبد الحفيظ الخنقي:** ولد حوالي (1789) بخنقة سيدي ناجي–ولاية بسكرة–، أسس زاوية المعمورة بمسقط رأسه، وكان له دور بارز في المقاومة الشعبية بقيادة الشيخ بوزيان، ومن أبرز المعارك التي قادها معركة أبراز... للمزيد . ينظر، التواتي بومهلة، نفسه, ص 114.

3 – **الصادق ابن الحاج:** من مواليد سنة 1791م، ولاية بسكرة، أسس زاوية في الأوراس، كان للشيخ دور حاسم في رد قوات الاحتلال في محاولة السيطرة على منطقة جبال أحمر خدو ... للمزيد . ينظر، التواتي بومهلة، نفسه، ص119 .

4 – سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1900م)، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص- ص (330–336).

5 – أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت)، ص 151.

- **مقاومة الأغواط:**

في بداية سنة 1835م زحف جيش من قبائل الأغواط ونواحيها وأعراش أولاد نايل إلى العاصمة لتحريرها، ووصلوا إلى مشارف البليدة، ثم رجعوا بعد أن عقدت فرنسا الهدنة مع الأمير عبد القادر، ثم اندلعت المقاومة من جديد بين سنتي 1851-1852م، واستمرت المواجهة طويلا بقيادة الشريف محمد بن عبد الله[2] وبن ناصر بن شهرة[3] لتنتهي بسقوط الأغواط[4] التي اعتصم بها ودافع عنها طويلا ضد الفرنسيين الذين افتكوها منه ودخلوها في الرابع من شهر ديسمبر 1852م[5]، وقد قام محمد بن عبد الله بإقناع القبائل المختلفة بضرورة المقاومة ورفض الخضوع والخنوع للاستعمار تحت أي شكل من الأشكال، الأمر الذي ألهب حركة المقاومة وجعل الكثير من القادة يضمون جهودهم إلى جهود محمد بن عبد الله ويتعلق الأمر بالقائد بن ناصر بن شهرة وسي النعيمي قائد أولاد سيدي الشيخ وغيرهم، فظلت المقاومة مستمرة ولم تنته إلا بوفاة البطل محمد بن عبد الله بالأراضي التونسية سنة 1895م.[6]

ب. المقاومة في القسم الصحراوي الشرقي:

- **ثورة محمد بن تومي بوشوشة:**

في شهر أفريل عام 1870م هاجم مدينة القليعة، واستولى في 05 ماي 1870م على مدينة متليلي بعد حصار دام عدة أيام، فأصبح هو قائد المقاومة الجزائرية في الجهة الجنوبية بصحراء الجزائر في أواخر سنة 1870م، وانتقل إلى واحة الرويسات قرب ورقلة ثم اتجه إلى وادي سوف، وفي يوم 05 مارس 1872م هاجم حامية ورقلة فهزمها واستولى عليها وعيّن ابن ناصر بن شهرة خليفة

---

1 – سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص336.

2 – **الشريف محمد بن عبد الله:** ينتمي محمد بن عبد الله إلى سيدي أحمد بن يوسف إلى فرع قبيلة أهل رويسات قرب عين تيموشنت، اشتغل معلما في تحفيظ القرآن الكريم، شارك في عدة معارك إلى غاية وفاته 1895م ...للمزيد. ينظر، التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص 130.

3 – **بن ناصر بن شهرة:** الناصر بن شهرة بن فرحات شيخ قبائل الأرباع بنواحي مدينة الأغواط، ولد عام 1804م، بدأ يعد للثورة سنة 1846م، وفي 5 سبتمبر 1851م اتصل بن ناصر بالمجاهد الشريف محمد بن عبد الله فاتفق معه على الجهاد، واستماتا في الدفاع عن مدينة الأغواط وقصورها... للمزيد. ينظر: التواتي بومهلة، نفسه، ص– ص(121–122).

4 – نفسه، ص– ص(70–72).

5 – عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ دراسات الحركة الوطنية والثورة التحريرية (على ضوء وثائق جديدة)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 95.

6 – مسعود دحدي، ثورة الشريف بن محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الاستعماري الفرنسي (1848–1895م)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، المركز الجامعي بالوادي، جوان 2010م، ص132.

عليها، وفي 13ماي 1871م قام بمهاجمة تقرت والنصر على القوات الفرنسية المرابطة بها، إلا أن القوات الفرنسية تمكنت يوم 27 ديسمبر 1871م من شن هجوم على تقرت وبعدها احتلت مدينة ورقلة من جديد في 2 جانفي 1872م، وذلك بعد معركة عسكرية بقيادة الجنرال دولاكروا ضد حاكمها بوشوشة واستأنف هذا الأخير حرب العصابات ضد القوات الفرنسية في المنيعة، إلى أن وقع في الأسر في معارك مارس 1874م، وأصدر الحكم عليه بالإعدام الذي نفذ في 29 جوان 1875م بمعسكر الزيتون بقسنطينة.[1]

- **ثورة التوارق:**

في عام 1916م اندلعت ثورة التوارق في الصحراء الكبرى الجزائرية وامتد لهيبها إلى مناطق جانيت وتاغيت والهقار، حيث لمع كل من أحمد سلطان والشيخ عبد السلام فاستغل قادة هذه الثورة انشغال فرنسا بظروف الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) ليعلنوا جهادهم ضد المحتل الفرنسي، فسلحوا جنودهم واتجهوا نحو واحة جنات حيث كان يوجد مركز عسكري فرنسي بقيادة الضابط لوران لايبير Lauren Lapierre فحاصرا المركز وأمر الشيخ بمهاجمة الحصن، وتبادل الطرفان إطلاق النار إلا أن النصر كان للجزائريين، وكرد فعل على هذه العملية سيرت السلطات العسكرية الفرنسية جنودها بقيادة الضابط ميني Meynier لاسترجاع حصن جانيت ولم يتمكن منها إلا بعد معركة دامية انسحب على إثرها الشيخان إلى تاغيت، وفي 1917م كوّن السلطان قوة وبادر في الهجوم على توارق جانيت يحاربون العدو إلى أن تمكنت منه فرنسا، وفي نفس الوقت الذي كان فيه توارق جانيت يحاربون العدو كانت الثورة مشتعلة في الهقار، فقام ثوارها سنة 1916م بقتل الأب دوفوكولد De Foucauld الذي كان يعمل لصالح الجيش الفرنسي في الصحراء متخفيا وراء الأعمال الخيرية وكان مقتله بداية لثورة كبيرة في الهقار دامت إلى غاية 1919م، تزعمها القائد كاوسن التارقي.[2]

1 - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص ص (145-146).

2 - عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 160.

ت. المقاومة في القسم الصحراوي الغربي:

تعد المقاومة الشعبية في منطقة الجنوب الغربي ضد التوسع العسكري للاحتلال الفرنسي إحدى الحلقات المضيئة في تاريخ المقاومة، وهذه المقاومة تجسدت في مقاومة أولاد سيدي الشيخ ومقاومة الشيخ بوعمامة.

- **ثورة أولاد سيدي الشيخ:**

حدثت سنة 1864م، حيث استفز الجيش الفرنسي هؤلاء القوم[1]، كانت بالجنوب الغربي الجزائري، حيث خاض أولاد سيدي الشيخ مقاومة عنيفة دفاعا عن الوطن والديار، وكان من أسباب قيام هذه المقاومة رفض الاحتلال وإثقال كاهل السكان بالضرائب وسياسة فرنسا القائمة على فكرة فرق تسد، ويبقى السبب المباشر تلك الإهانة التي تعرض لها سي الفضيل وعدد من أفراد عائلة أولاد سدي الشيخ يوم 1864/01/25م في ساحة البيض على يد ضابط المكتب العربي، وقد مرت بمرحلتين الأولى من 1864-1867م، وأبرز ما حدث فيها إعلان سي سليمان الجهاد، حيث في يوم 1864/04/08م اندلعت المقاومة بالإغارة على مخيم للجيش الفرنسي، وفي يوم 13 ماي 1864م وقعت معركة "ستيتن" بين المقاومين وقوات العدو الفرنسي، وكذلك وقعت معركة "غارة" يوم 4 فبراير 1865م وشهدت سنة 1866م عدة اشتباكات ومعارك، أما المرحلة الثانية 1867-1884م فأبرز ما حدث فيها وقوع فترة قحط في الجزائر من 1867-1869م ورغم ذلك استمرت المقاومة حيث وقعت معركة أما الدبداب 1869م وانتصر فيها العدو، وأيضا من أشهر المعارك التي وقعت معركة "ماقورة" 17 أفريل 1871م.[2]

- **ثورة الشيخ بوعمامة:**

ما كادت جذوة ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة تخبو حتى ظهرت ثورة أخرى أكثر مراسا وأشد عنفا، وهي المتمثلة في ثورة أولاد سيدي الشيخ الثانية أو ثورة الشيخ بوعمامة[3] 1881م، حيث بادر الشيخ بوعمامة إلى استنفار جميع القبائل الصحراوية بعد أن أرسل إليهم مبعوثين، واستطاع الشيخ في وقت قصير أن يجمع حوالي ألفين وثلاثمائة (2300) جندي بين فرسان ومشاة، وأعلن الجهاد

---

1 - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص 103.

2 - التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص- ص(102-106).

3 - **الشيخ بوعمامة:** ولد سنة 1838م في قصر الحمام الفوقاني وهو رائد المقاومة الشعبية في الغرب الجزائرية، وصلت إلى مختلف المناطق الصحراوية، واستطاع كسب الكثير من الأنصار إلى ولاءه لمقاومة الغزو الفرنسي ... للمزيد. ينظر، التواتي بومهلة، نفسه ,ص 130.

المقدس بعدما استغل فرصة غياب الجيش الفرنسي المرابط بالمنطقة الوهرانية للمشاركة في الحملة على القطر التونسي أفريل 1881م، ولقد تم أول لقاء مع العدو يوم 27 أفريل 1881م بموقعة "سفيسفية" جنوب عين الصحراء، وانتهت بانهزام الجيش الفرنسي، وقد تقدمت قوات الشيخ بوعمامة في عمودين واحد عبر المضيق الجبلي والآخر عبر السهل بأعداد ضخمة، ولما تمت المواجهة سقط العديد من الشهداء في صفوف المجاهدين، وكانت خسائر بوعمامة أكثر[1]، وكذلك من أهم المعارك التي قادها الشيخ بوعمامة ضد الاستعمار الفرنسي معركة "المويلك" 19 ماي 1881م، وكذلك المسيرة الطويلة دامت من 30 ماي إلى 21 جوان 1881م[2]، ومما لا شك فيه هو أن هذه الثورة كانت أطول الثورات الجزائرية التي اندلعت في وجه الغزو الفرنسي، ذلك أنها دامت أكثر من ربع قرن من شهر أفريل 1881 إلى غاية وفاة الشيخ بوعمامة في أكتوبر 1908م.[3]

ثالثًا: تجسيد المشاريع الاستعمارية في الصحراء الجزائرية

مما لاشك فيه أن لكل دولة استعمارية خطة عمل تسعى من خلالها لفرض سيطرتها وترسيخ وجودها الفعلي بالمناطق المستهدفة، وهاهي ذي فرنسا تعتبر إحدى أهم هذه الدول التي ما انفكت تعمل على بسط سيطرتها على الجزائر في ثلاثينيات القرن 19م، ونظراً لصمود الشعب الجزائري فإنها لم تتمكن من فرض سيطرتها على القسم الشمالي من البلاد إلا بعد مرور حوالي عشرون سنة أي من سنة 1830م إلى سنة 1850م"، وإثر ذلك راحت تتطلع إلى التوسع نحو الجنوب الجزائري، ونظرا للخصوصيات القاسية التي تتميز بها –الصحراء– فإنها قامت بعدة مشاريع لإحكام سيطرتها عليها، وهذه المشاريع جاءت متباينة في زمانها ومكانها وطبيعتها، فمنها الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولكنها مشتركة في الهدف، وسأحاول التطرق إلى بعض المشاريع التي أراها ساهمت بصورة مباشرة في تشجيع التوسع العسكري نحو الجنوب الجزائري، وهي تكمن فيما يلي:[4]

1 – حنان بلعشاش، دور التيار الصوفي في الثورات الشعبية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013، ص87.

2 – التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص 113.

3 – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص271.

4 – احميدة عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص70.

أ. نماذج للمشاريع ذات البعد الديني والثقافي:

- **التنصير:**

لقد اهتمت أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي اهتماما كبيرا بالحملات التنصيرية، فالكاثوليكية كانت في حماية فرنسا، والأرثوذكسية تحت رعاية روسيا والبروتستانية تدعمها إنجلترا، أما الهدف من الوقوف وراء التبشير[1] هو الرغبة في تنشئة جيل يدين بالولاء للدولة التي تحمي المدرسة التبشيرية، زيادة عن الولاء للثقافة الغربية، والتنصل من الشخصية القومية العربية الإسلامية في بعدها الديني واللغوي، إن هذا الأمر يتضح بصورة جلية بتصريح جنرالات الحرب الفرنسيين، منهم الجنرال بيجو الذي صرح عندما سلم الأب بريمو Brimau أطفال جزائريين بقوله: «حاول يا أبي أن تجعلهم مسيحيين، وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم، ليطلقوا علينا النار» كما بين بيجو جدوى سياسة التنصير[2] في خدمة الاستعمار بقوله: «إن العرب لا يقبلوا فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين، ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين»[3]، وقد تمثلت أهداف التنصير فيما يلي:

- تدعيم الغزو العسكري بغزو روحي وديني.
- محاربة القرآن الكريم باعتباره السد المنيع الذي أفشل كل مخططاتهم الاستعمارية لاختراق المجتمع الجزائري، وفي هذا عبر الفرنسيون عن قلقهم بقولهم: «إن المسلمين إذا اعتنقوا الدين المسيحي فإنهم سيظهرون لنا الطاعة ويصبحون إخوانا لنا... ألا تتطلب سعادة هؤلاء الأشقياء أن نقوم بهذه المحاولة؟ إننا عندما نقدم لهم العقيدة الجديدة سنضع حدا لهذا الفيض الشنيع لطبائعهم وأخلاقهم، والذي يمتاز به هؤلاء الذين يسيرهم القرآن...».
- إعادة إحياء الديانة المسيحية في الجزائر كما كانت قبل الإسلام وجعل الجزائر بوابة لنشرها في كامل إفريقيا السوداء[4].

لقد أدرج لافيجري نشاطه التبشيري بالجزائر مخططا تفصيليا لتوسيع دائرة نشاطه انطلاقا من الجزائر صوب الصحراء فوصولا إلى إفريقيا، لذلك كان من الواجب إيجاد مراكز تبشيرية متقدمة من

---

1 – هو دعوة لإتباع ما جاء في الإنجيل من عقائد وتعاليم، فلفظة الإنجيل ذاتها تفيد معنى التبشير...للمزيد.ينظر، احميدة عميراوي، المرجع السابق, ص 116.

2 – حمل الناس بصورة أو بأخرى، أفراد جماعات من عقيدة غير نصرانية سواء كانت إسلامية أو وثنية أو غيرها إلى العقيدة النصرانية... للمزيد. ينظر، احميدة عميراوي وآخرون، نفسه، ص 115.

3 – نفسه، ص121.

4 – بن يوسف تلمساني، التوسع الفرنسي في الجزائر (1830–1870م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، (2004-2005 م)، ص 383.

شأنها أن تطلعه على طبيعة المنطقة وسكانها فاستهل الأمر ببعث ثلاثة من الأخوات البيض دخلوا نحو الأغواط، في ديسمبر 1870م وصلتها بعد ستة أيام من سفر متعب لكنهم مرضن لعدم تأقلمهن مع قساوة المناخ بالمنطقة، فأمرهن لافيجري بالعودة[1]، إن الكلام عن أهم الرواد الأوائل الذين تسللوا إلى الجنوب الجزائري يبدأ من سنة 1876م حينما تحدت الكنيسة الكاثوليكية جميع العراقيل، حينما أرسلت ثلاث مبشرين وهم الآباء بوليمي وموريه وبوشاند عبر الصحراء، ويهمنا الحديث أكثر عن أهم الرواد الكبار الذين أفاضت المصادر التاريخية في ذكر أعمالهم التبشيرية ومناهجهم ونتائجها، ويأتي على رأس هؤلاء شارل دو فوكو (Charles de Foocould) الذي يعتبر أكبر مستكشف ديني نصراني للصحراء ومن أخطر المبشرين، وذلك من خلال الأعمال التي قدمها للكنيسة وتعبيده الطريق لتمكين الاستعمار من البلاد، وكان دو فوكو يرى أن التنصير هو الوسيلة الوحيدة لتثبيت الاستعمار، ولكي يحقق ذلك عمد إلى:

- تحطيم البنية الثقافية والاجتماعية والنفاد منها.
- استخدام الأطفال للوصول إلى أوليائهم.[2]

كما لم يتوقف نشاط الكاردينال عند هذا الحد، بل امتد مشروعه الصحراوي إلى مناطق الجنوب حيث قام بتأسيس حركة تنصيرية مسلحة هي جمعية إخوان الصحراء بمنطقة بسكرة سنة 1891م، ورغم أنها تهدف إلى محاربة العبيد في إفريقيا في ظاهرها، لكن الحقيقة من وراء ذلك هي حماية المنصرين والحفاظ على حركة التنصير بقوة السلاح، خاصة بعد أن قام أهل الجنوب بقتل جماعة من المنصرين الذين أساؤوا للدين الإسلامي، واستفزوهم في عقيدتهم والهدف الآخر من إنشاء هذه الحركة هو استكشاف الصحراء وتسهيل وصول العسكريين لبسط النفوذ الفرنسي في أعماق الصحراء.[3]

1 – مزيان سعيدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867–1892م)، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص– ص(337–338).

2 – ميلود سرير وآخرون، المرجع السابق، ص– ص(128–142).

3 – حميد قريتلي، أضواء على التنصير والمنصرين في الجزائر 1830–1892م، مجلة الدراسات التاريخية ع15 وع16، شارع جمال الدين الأفغاني، الجزائر، 2013م، ص 334.

- **مشروع إبطال فريضة الجهاد:**

إن السلطات الفرنسية قد أدركت أن الدين الإسلامي هو العامل القوي الذي جعل الشعب الجزائري يدافع عن أرضه ومقدساته تحت لواء الجهاد، لذلك عملت السلطات الفرنسية على تشتيت الصف الجزائري بتحويل عامل الدين الإسلامي من وسيلة دفاع عن الوطن إلى وسيلة إقناع بقبول الوجود الفرنسي وبذلك يمكن تقديم نموذجين، الأول يكمن في ذلك الدور الذي قام به الجاسوس والمرتد "ليون روش" في تمكنه وبدهاء من إصدار فتوى من العلماء المسلمين تدعوا إلى عدم حمل السلاح ومقاومة العدو الفرنسي، أما النموذج الثاني فهو عبارة عن فتوى تعود في تاريخها إلى سنة 1893م، وهي المعروفة بفتوى أهل قورارة، والتي أثارت الكثير من الجدل والخلافات حول مقاومة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية.[1]

- **التعليم:**

استهدفت بذلك تكوين مجتمع جزائري اندماجي مستوحى من مشروع جول فيري التعليمي والمستمد من سياسة الكاردينال لافيجري والبعيد كل البعد عن أصالة الشعب الجزائري، وكانت تلك السياسة تهدف إلى تكوين شريحة طلابية تفكر وفق مناهجه الاستعمارية حسب تعبير لافيجري نفسه بقوله: «ليس الهدف من فتح المدارس في شمال إفريقيا هو أن نكون عقولا مثل عقول فولتير ومونتسكيو أو جان جاك روسو، إنما الهدف ببساطة هو أن نبدل لغة بلغة ودين بدين وعادات بعادات وتقاليد بتقاليد»، ومن ثم عمل الاستعمار الفرنسي على مسخ التراث الجزائري وتشويهه بعد محاربة اللغة العربية[2]، وكذلك تركت السلطات الفرنسية الجزائريين في حالة الجهل والإهمال[3]، واستبدال اللغة العربية باللغة الفرنسية التي أصبحت اللغة الرسمية في الإدارة الجزائرية، وقد شجعت الولاية العامة على توسيع دائرة التعليم الفرنسي في الجنوب قصد إدماج أهلها بعدما أطفأت فيه وعيه وثبتت في ذهنه أفكار دخيلة بواسطة الترغيب والترهيب وغرست فيه عادات جديدة في التفكير والشعور والعمل[4]، ونجد أن التعليم يعتبر أهم وسيلة ركز عليها متجليا ذلك في إنشاء المراكز التعليمية لتعليم الجزائريين تعليما يتماشى والطريقة الفرنسية من أجل خلق جيل جديد ممسوخ عن مقومات

1 – احميدة عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص– ص(101–102).

2 – أحمد مريوش، السياسة الفرنسية في الجنوب وردود الفعل الوطنية ما بين 1900–1930م، مجلة المصادر، ع20، السداسي الثاني، 2009.

3 – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830–1954م)، ج 3، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص 342.

4 – أحمد مريوش، المرجع السابق.

الشخصية الوطنية وله ثلاثة أهداف رئيسية: الفرنسة والتغريب والتنصير، ولذلك اعتبر "بورغاد" المدرسة وسيلة جوهرية لتحقيق أهدافه.[1]

ب. نماذج من المشاريع ذات البعد الاقتصادي:

- **مشروع مد خط للسكك الحديدية:**

وعلى ضوء الاعتبارات تفتقت العبقرية الفرنسية على مشروع كان يبدو أنه يضمن التغلب على جميع الصعوبات التي تواجهها السلطات الاستعمارية في طريق التوغل في الصحراء، وذلك هو مشروع مد خط للسكة الحديدية من الشمال إلى الجنوب عبر الصحراء[2]، ومن الأسباب التي دفعت بهؤلاء إلى تبني هذا المشروع هي:

- تسهيل عملية تنقل القوافل العسكرية، ولتتمكن من القضاء على بؤر التوتر للمقاومة الجزائرية في الجنوب.
- ربط المراكز الاستعمارية ببعضها البعض على مستوى محلي ودولي ومستعمراتها الإفريقية على مستوى قاري.
- تنشيط الاقتصاد الفرنسي والعمل على ازدهاره وخاصة قطاع الخدمات، وذلك من خلال استغلا ل الثروات الطبيعية الظاهرية والباطنية التي تزخر بها الصحراء الجزائرية.
- الحد من تجارة القوافل المغربية والطرابلسية والمالية العابرة للصحراء الإفريقية.[3]

ويرجع تاريخ السكك الحديدية في الجزائر إلى النصف الثاني من القرن 19م، وقبل هذا التاريخ لم تكن الجزائر تعرف قاطرات، فالفرنسيون هم أول من أدخل هذا النوع من المواصلات إلى الجزائر، وكان ذلك بموجب مرسوم أفريل 1857م، الذي أعطى دفعا جديدا للمشاريع الكبرى خاصة سكك الحديد، ويعود إنشاء أول خط للسكك الحديدية في الجزائر إلى سنة 1862م، في عهد الإمبراطورية الثانية[4]، وإن فكرة مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء ترجع إلى المهندس دي بونشال De Buonchel الذي قدم الدراسات الأولى منذ 1874م، وأشار فيها إلى أن فتح هذا الخط يسمح لفرنسا والجزائر بالتوغل داخل الأوطان السودانية والاستحواذ على تجارتها، وانتقل دي بونشال الى الجزائر

1 – ميلود سرير وآخرون، المرجع السابق، ص128.

2 – إسماعيل العربي، تاريخ الرحلة والاستكشاف، المرجع السابق، ص330.

3 – احميدة عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص– ص(89–90).

4 – عبد الحكيم رواحنة، السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر (1870–1930م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، (2013 -2014م)، ص76.

ليجمع وينسق كل المعلومات الهامة حول الصحراء والسودان، ولهذا اهتمت الحكومة الفرنسية بتنفيذ المشروع، وبدأت في تجهيز برنامج عريض وطويل للأشغال العمومية لتدقيق مشروع الخط الحديد العابر للصحراء.[1]

هذا المشروع الذي كان حلم أصحاب القرارات والرأسماليين منذ القرن 19م، يهدف إلى ربط إفريقيا الشمالية انطلاقا من الجزائر والسودان الفرنسي عبر خط للسكك الحديدية ثم المستعمرات الفرنسية، ففكرة الربط بين إفريقيا الشمالية والسودان الفرنسي كما سبق الإشارة إليه ظهرت في النصف الثاني من القرن 19م، إذ تحدثت التقارير المنجزة من قبل وزارة المستعمرات والحاكم العام للجزائر عن مشروع ضخم هدفه ربط الجزائر بالهقار مرورا بوسط الصحراء.[2]

ومما لاشك فيه أن مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء، من المشاريع الضخمة ذات الفوائد العديدة، وتمثل وجهات نظر ثلاثية –سياسية، اقتصادية، حضارية–، بالنسبة للمصالح الاستعمارية، إلا أن السكك الحديدية في الجزائر عموما، وفي الصحراء خصوصا، من أولويات السياسة الفرنسية في الجزائر، وحاجاتها لإقامة طرق ووسائل اتصال سريعة، وهذا لتطوير واستجابة حاجيات المستعمرة المدنية والعسكرية، ولأهمية المشروع اهتمت بدراسته الغرفة التجارية بمرسيليا، حيث أن وزير الأشغال العمومية (فريستيان) قد كان مرتبطا برؤوس الأموال بمرسيليا، الشيء الذي شجعه في سنة 1879م، على تأسيس اللجنة الحديدية الصحراوية ومنح ثلاثة مليون فرنك ذهبي لثلاثة بعثات علمية لدراسته، وهي على النحو التالي: البعثة الأولى يترأسها "بوريان" مهمتها رسم السكة بوهران نحو توات والبعثة الثانية أشرف عليها "شوازي" قدمت دراسة جيولوجية شاملة لمنطقة وادي ريغ، أما البعثة الثالثة كلف بها الكولونيل "فلاترس" ويمتد طموحها إلى ما وراء الحدود والتي أدركها الاحتلال الفرنسي، وقد اقنع "دي بونشيل" البرلمان الفرنسي بالمصادقة على مشروع إنشاء ثلاثة خطوط رئيسية لهذا المشروع، وقد أثمرت الأبحاث خلال النصف الأول من القرن 20م بظهور ثلاث خطوط حديدية رئيسية هي:

- الخط الأول: يمتد من قسنطينة إلى ورقلة عبر بسكرة وتقرت.
- الخط الثاني: يمتد من البليدة إلى الجلفة عبر المدية.
- الخط الثالث: يمتد من المحمدية إلى بني عباس عبر سعيدة وبشار.

---

1 – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص– ص(437–438).

2 – حليمة زواوي، خالد أوعيل، ليلى بوعكاز، إستراتيجية الاستعمار الفرنسي في إخضاع الصحراء الجزائرية خلال القرن 19م، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، (2014-2015م).

ومما تجدر الإشارة إليه في الأخير حول هذا المشروع هو أنه عرف الكثير من العراقيل والصعوبات التي حالت دون تنفيذه كما تم التخطيط له[1] .

1 – احميدة عميراوي، وآخرون، المرجع السابق، ص– ص(92–99).

الفصل الثالث

مشروع البحر الصحراوي الداخلي1874م :
الأهداف والأبعاد

أولاً: دوافع المشروع

ثانياً: تجسيد المشروع وأهدافه

ثالثاً: ردود الفعل الوطنية والفرنسية من المشروع

أولاً: دوافع المشروع

لقد شهدت أوربا خلال القرنين 16 و17م حركة تجارية واسعة عرفت "بالثورة التجارية"، وذلك كنتيجة للكشوف الجغرافية الاستعمارية، فتجمع لدى الهيئات والشركات رؤوس أموال ضخمة، استثمر جزء منها في الثورة الصناعية التي ظهرت في القرن 19م أما الباقي فقد خرجت به أوروبا لميدان الإستعمار في إفريقيا وآسيا وأمريكا من أجل استثمارها في مشاريع أخرى إقتصادية بهدف رفع الأموال[1]، ونلاحظ أنه عند غزو الفرنسيين للصحراء الجزائرية واجهتهم عدة صعوبات بسبب شدة مقاومة السكان من جهة وقساوة الطبيعة متمثلة في شدة الحرارة والجفاف، وكذا تباعد المراكز العمرانية عن بعضها البعض .[2]

في الوقت الذي أصبحت فيه قناة السويس حقيقة واقعة والتي كان صاحب مشروعها دليسبس شرع هذا الأخير في دراسة وإعداد مشروع آخر تمثل في "قناة باناما" بأمريكا الوسطى للربط بين المحيطين الأطلسي والهادي، وفي نفس الفترة برز مغامر آخر بمشروع شق قناة جديدة في شمال إفريقيا، هذا المغامر هو القائد رودير[3] le commandant roudaire، الذي عمل على فتح بحيرة بقناة من البحر الأبيض في جنوب تونس 1874م[4]، علّها تساهم في إحدث تغيير في الظروف الطبيعية القاسية وتسهيل سبل الإستعمار والإستغلال الإقتصادي لإمكانيات الصحراء المادية والبشرية فتحمس رودير لهذا المشروع الضخم وعمل على تطوير صلاته بعدد آخر من المغامرين وعلى رأسهم ديليسبس حتى يستعين بهم، وتكونت في فرنسا

1 – يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي، مجلة الأصالة، ع25، منشورات وزارة الأوقاف الدينية والأوقاف، الجزائر، ماي – جوان 1975م، ص 97.

2 – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص81.

3 – يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر ...، المرجع السابق، ص98.

4 – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص314.

هيئة خاصة لذلك وحُددت منطقة أحواض الجريد التونسي كنواة لهذا البحر الداخلي[1]، أي البحيرة الكبرى في العرق الشرقي الكبير من الصحراء الكبرى[2] .

وتعد المنطقة المحصورة بين خليج قابس شرقا، وجبال أولاد نايل، وهضبة مزاب غربا وجبال الأوراس والنمامشة وتبسة والظهر التونسي شمالا وجبال مطماطة والهقار جنوبا حوضا داخليا واسعا يدعى العرق الشرقي الكبير ويشتمل على عدد كبير من الأحواض والشطوط[3] الداخلية المالحة خاصة في الشمال الشرقي والغربي أهمها : منخفض الجريد الذي يشتمل على شط فجاج وشط الجريد وشط الغرسة ولا يبعد كثيرا عن خليج قابس بتونس، ومنخفض ملغيغ الذي يشتمل على شط عسلوج وشط ملغيغ، وشط مروان وذلك بالجزائر غرب منخفض الجريد[4].

ويمتد إلى جنوب أحواض ملغيغ عدد آخر من الشطوط تعتبر جزءا من منخفض وادي ريغ وحوض ايغرغر، الذي ينحدر من السفوح الشمالية لجبال الهقار، وإلى الشمال الغربي من منخفض ملغيغ توجد في الهضاب العليا مجموعة من الأحواض والشطوط الداخلية المالحة في حوض شبه مستقيم ومستطيل من الشرق إلى الغرب أهمها: شط الحضنة والزاغر الشرقي والغربي والشط الشرقي الكبير، مفصولة عن حوض ملغيغ بمرتفعات جبال الزاب والزيبان بين بسكرة وباتنة وحوض الحضنة.

إن بعض النظريات الجغرافية والجيولوجية ترى أن هذه الأحواض كانت تمثل في العصور القديمة بحرًا داخليًا واحدا له ثلاثة منافذ إلى البحار، واحد إلى البحر المتوسط شمالا عبر مجرى نهر الشلف، والثاني إلى المحيط الأطلسي غربا عبر ممر تازة، والثالث إلى خليج قابس شرقا عبر شط فجاج، ثم إن هذا البحر قد جفت بعض أجزائه وبقي البعض على شكل أحواض

1 – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص– ص(81–82).

2 – أحميدة عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص88.

3 – الشطوط: عبارة عن حوضيين واسعين محفورين في الهضاب الداخلية التي تنحدر فجأة عموديا إلى عمق يتراوح بين 10 و20 م. ينظر: فليكس جاكو، حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية خلال شهري أفريل وماي 1847م ترجمة : حليمة بابوش، وزارة الرائد للكتاب، الجزائر، 2013، ص75.

4 – يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر...، المرجع السابق، ص– ص (98–99).

وشطوط وزواغر داخلية منها مجموعة أحواض منخفض الجريد ومجموعة أحواض منخفض ملغيغ، ومجموعة أحواض الهضاب العليا، وتقع أحواض منخفض الجريد على انخفاض 25 متر من مستوى سطح البحر، وحولها مناطق سهلية واسعة ذات تربة رسوبية التكوين، وكذلك الأمر بالنسبة لأحواض منخفض ملغيغ[1] .

كما تنتشر بها مجموعة كبيرة من القرى العمرانية ذات كثافة سكانية عالية، خاصة منطقة وادي سوف، ويسود هذه المنخفضات مناخ صحراوي قاس ، حار صيفا وبارد شتاءا الأمر الذي جعل السكان يعانون باستمرار من الجفاف و مخلفاته الكارثية فغالبا ما تضطرب أوضاعهم الإقتصادية الفلاحية منها والحيوانية .

ثانياً: تجسيد المشروع و أهدافه:

شاعت فكرة عند بعض الجيولوجيين منذ القرن الماضي بأنه يمكن إيجاد بحر داخلي في هذه المنطقة، الهدف منه إحداث تغيير جذري في الظروف الطبيعية والمناخية القاسية للصحراء[2] والذي سيؤدي إلى تغيير في أوضاعها الاقتصادية والعمرانية لفائدة السكان.

ونواة هذا البحر الداخلي تكون في البداية مكونة من أحواض: شط الجريد وشط الغرسة وشط فجاج، التي توصل بخليج قابس شرقا عبر شط فجاج الذي يمثل الذراع الشرقي لمنخفض الجريد الكبير ولا يبعد عن الخليج إلا بحوالي 15 كلم، وذلك عن طريق حفر قناة بحرية إليه، ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية حيث يوصل هذا البحر بأحواض منخفض ملغيغ بوادي ريغ في الغرب وبمنخفض حوض إيغرغر في الجنوب عبر واد سوف[3].

وقد شرع رودير في وضع الدراسات حوله منذ عام 1873م، وخصصت الجمعية الوطنية الفرنسية في العام الموالي مبلغا ماليا لدراسة منطقة الشطوط دراسة علمية وسافر رودير من قسنطينة إلى بسكرة ثم إلى أحواض ملغيغ، ودرس تاريخها وجغرافيتها الطبيعية والفلكية ومناخها

1 – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص99.

2 شهرزاد شلبي، الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية، مجلة كان التاريخية، ع11، مارس 2012م، ص85.

3 يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 83.

وتضاريسها ومستواها عن البحر، وتربتها وسكانها وإمكانياتها الاقتصادية وأهمية هذا البحر المقترح في إحداث التغيير المنشود، والمناطق التي سيغمرها، طولا وعرضا وارتفاعا والنتائج التي ستنجر عن إحداثه ومواقف سكان المنطقة، ووضع عددا من الخرائط والأشكال والمقاييس[1] وفعل مثله دوليستر مهندس المصلحة الطبوغرافية[2] ودوفيري مندوب الجمعية الجغرافية لدى بعثة رودير، الذي درس مستوى الشطوط عن البحر وهندستها الجغرافية[3]، وتحدث "أوكتاف ساشو"عن فيضانات الصحراء وبحر الجزائر[4]. ورغم أن رودير إكتشف أن شط الجريد يقع فوق مستوى سطح البحر عكس أحوض ملغيغ وشط الحضنة، إلا أنه لم يفقد الأمل في إنجاز المشروع.

أعد" رودير" ملفا ضخما وقدمه إلى المجلس العلمي بالأكاديمية الفرنسية بباريس فحوله هذا الأخير إلى "ديليسبس" صاحب مشروع قناة السويس بمصر، وعلى اثر تدشينها قاموا بدعوته إلى مصر، فاستحسنه وشجعه وتحمس له كثيرا ولكن الآراء في المجلس العلمي وفي البرلمان الفرنسي ولدى أصحاب رؤوس الأموال تضاربت تضاربا كثيرا، وفي الأخير وافق البرلمان الفرنسي على اعتماد مالي جديد عام 1878م للقيام بدراسات جيولوجية جديدة في المنطقة يشترك فيها ديليسبس نفسه، وتألفت لجنة رسمية عامي 1881-1882م، لدراسة التعقيدات المالية والمشاكل الأخرى التي تتعلق بالمشروع، ترأسها دوفريسيني DeFreycient

1- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 83.

2 - E.delestre, aproposde la mer intrrieure ou fausse interpretation geographique, paris,1874, p23

- نقلا عن: يحيى بوعزيز، نفسه، ص84

3 -Henri duveyrier . Premier raport sur la mission des chotts du sahara de constantin, paris, 1875 =

= نقلا عن: يحي بوعزيز، نفسه، ص84.

4- Octave Sachot, l'inondation du Sahara le mer algérienne et le Chin de der de Philippeville à Tombouctou, (R. BR , 1879), T.VI, pp 317-332.

- نقلا عن: يحي بوعزيز، نفسه، ص84.

واكتشف أن التكاليف تزيد على ثلاثة مليارات وأن ما سيحفر من التربة يزيد عن ستة أضعاف ما حفر في قناة السويس.

في هذه الأثناء سافر "رودير" و"ديليسبس" إلى منطقة قابس عام 1883م لدراسة المشروع على الأرض وعندما عاد من هناك برزت معارضة قوية للمشروع من طرف أعضاء الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم على رأسهم: أوفرست بوميل A.Pomel الذي يعرف الجزائر وتونس جيدا، فأكّد عدم وجود أية صلة بين البحر وهذه الشطوط قديما و"كوسون" E.Cosson الذي يعرف الجزائر وتونس جيدا حيث قضى بها حوالي 32عاما في استكشاف المنطقة، وحاول أن يتعرّف على الجذور التاريخية لبحر تريتون والذي يعود إلى العصور القديمة[1]، وقد اهتمت وزارة الخارجية الفرنسية بالموضوع فألّفت لجنة خاصة لدراسة مشروع رودير الذي قُدم لها[2] وطرحته (الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم) للنقاش في دورتها 13 خلال مؤتمر" بلوه"، حيث قدم كوسون دراسة عن الكشف العلمي الذي قامت به البعثة في تونس من الناحية الصحية وبعدها قدم الدكتور روير والمهندس جورج أولاين ولوتورنو leTourneau خريطتين عن مشروع المواصلات لهذا البحر الداخلي.[3]

أما عن الدراسة التقنية للمشروع فتضمنت حفر قناة بطول 200 كلم، تربط بين خليج قابس وشط الفجاج وشط الجريد جنوب بلدة قفصة وشط رارسة شمالي بلدتي نفطة والتوزور، ثم بشط ملرير جنوب بسكرة وهو ما يقتضي إزاحة 600 مليون م^3، من الأتربة والحجارة، أي ستة أضعاف ما تم إزاحته لشق قناة السويس وهي الأشغال التي قدرت تكلفتها آنذاك بـ1.300

---

1 – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص–ص (84 – 85) .

2 – Ministre des Affaires Etrangères, commission Supérieure pour l’examen du projet de mer intérieure dans le sud de L’Algérie et la Tunisie, présenté par M. le commandent pouire (paris, 1882), p548.

نقلا عن: يحي بوعزيز، نفسه، ص85.

3 – le projet de création en Algérie en Tunisie d’un mer dite intérieure devant le congres de blois (paris, 1885) p40.

– نقلا عن: يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص86.

مليون من الفرنكات الذهبية، ليتم بعدها غمر شطي رارسة وملرير بـ172 مليار م^3 من مياه المتوسط ليصل البحر الداخلي الصحراوي بعد 29 سنة إلى مستوى الطبيعي.[1]

ويمكن الحكم في نهاية العنصر على أن من اهداف هذا المشروع نذكر:

- تسهيل عملية تنقل القوات العسكرية في ظروف حسنة وبالسرعة المطلوبة.
- التمكن من القضاء على المقاومات في الجنوب وإخماد الثورة.
- ربط المراكز الإستعمارية بعضها البعض على المستوى المحلي.[2]
- القضاء على الجفاف الحاد والعزلة الشديدة والتخلف الفظيع في المنطقة.
- التمويه على السكان المحليين بان المشروع يعمل على إيصال المرافق الحضارية إلى السكان العزل بسهولة.[3]
- تنشيط الإقتصاد الفرنسي والعمل على ازدهاره وخاصة قطاع الخدمات والمواصلات وذلك من خلال استغلال الثروات الطبيعية الظاهرية والباطنية التي تزخر بها الصحراء الجزائرية.
- تلطيف الجو ليسهل على الفرنسيين التوغل في أعماق الصحراء.[4]
- السماح السفن البحرية بالوصول إلى عمق الصحراء لإفراغ وشحن حمولاتها المختلفة.
- تسهيل الإتصال بين أعماق الصحراء والعالم الخارجي. إيجاد مساحات واسعة خصبة لإستغلال الأراضي الزراعية بالصحراء.
- تحسين الجو من خلال رفع نسبة الرطوبة نتيجة تبخر مياه هذا البحر.
- مساهمة الرطوبة في زيادة منسوب الأمطار النازلة سنويا .

---

1 – أسماء بلحبيب، المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية الكبرى في الصحراء الجزائرية خلال النصف الثاني من القرن 19م (مشروعي البحر الصحراوي الداخلي 1874م والسكة الحديدية 1941م، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامي، قسم التاريخ, الجامعة الإفريقية أحد دراية، أدرار، (2011–2012م)، ص 39.

2 – احميدة عميراوي، وآخرون، المرجع السابق، ص89.

3 – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص88.

4 – احميدة عميراوي، وآخرون، نفسه، ص90.

- إقامة حاجز طبيعي قوي يقلل من قسوة الجو الصحراوي. [1]

ثالثاً: ردود الفعل الوطنية والفرنسية من المشروع:

أ. الوطنية:

- **الأمير عبد القادر يؤيد المشروع :** رغم أن الأمير عبد القادر كان بعيدا عن الميدان يعيش في منفاه بدمشق، إلا أنه رمى بدلوه في الموضوع وعرض تأييده للمشرع فكاتب دوليسبس مهنئا ومشجعا له[2]، وكاتب سكان قابس والمناطق المجاورة يحثهم على تأييد المشروع الذي سيغمر الكثير من أراضيهم، وقراهم العمرانية، وأوضح لهم الأهمية التي ستنتجم عن إنجاز هذا البحر، وحاول أن يدعم آراءه وأفكاره بآيات من القرآن الكريم وأحاديث من أقوال الرسولﷺ[3]، وقد رأى الفرنسيون بأن تأييد الأمير لمشروع البحر الداخلي كان تلقائيا وليس بإيعاز من أحد، ولكن ديليسبس اعتبر تأييده بمثابة جواز مرور لإنجاز المشروع وإنجاحه[4]، إن الأمير عبد القادر لو لم يطلب منه ذلك ما أمكن أن يقحم نفسه، ولا يمكن التسليم بدعوى الفرنسيين دون نقاش إلا عندما تظهر وثائق جديدة .[5]

ب. الفرنسية:

كان دليسبس شديد الحماس لإنجاز مشروع البحر الداخلي بعد موت رودير عام 1883م، فحاول أن يقنع جول فيري Jules Ferry رئيس الوزراء الفرنسي برأيه فلم يفلح في

---

1 – يحي بوعزيز، نفسه، ص85.

2 – Léscptoration du Globe, journal des conquêtes de la civilisation sur tons des points, (paris24-11-1879) N°19, pp825-826.

– نقلا عن: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر...، المرجع السابق، ص 100.

3 – L'Afrique explorée et civilisée, journal mensuel (Genève, suisse Novembre 1879) N°5, pp81-82. Et Abd el Kader : le mer du Sahara dans L'Afrique septentrionale (Bul, SOC.G.Arch, Oran 1883), pp46-48.

- نقلا عن: يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص86.

4 - Bulletin de la Société de Géographie commercial de paris, (paris 1882-1183), pp342-343.

نقلا عن: يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص86.

5 – يحي بوعزيز، نفسه، ص86.

ذلك لأن جول فيري أبلغه بأنه لا يمكن له أن يعارض رأي (الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم)، ومع ذلك قرر دليسبس أن يرسل المدعو "لاند" landas إلى قابس للقيام بتحقيق جديد، في الوقت الذي عيّن فيه "روير" عضو جديدا في (الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم) اغتنم دليسبس فرصة مأدبة المقاولين الفرنسيين يوم 30 أفريل 1885م، في فندق "الكونتينانتال" بباريس، فأعلن لهم بأنه سيغرق جنوب الجزائر وتونس بالمياه، وأنه سيعلن في شهر جوان عن نداء لجمع 300 مليون فرنك للبدء في إنجاز المشروع، وأنه سيحفر قناة قابس وقناة" بنما "بامريكا كما حفر قناة السويس.[1]

إلا أن المشروع لقي معارضة شديدة من قبل المختصين في البيئة والإقتصاد فالطرف الأول روّج لفكرة استحالة إنجاز هذا المشروع لأنه يسحب مياه البحر المتوسط إلى الجنوب ما قد يتسبب في عودة أوروبا إلى العهد الجليدي بعد أن تنخفض درجات الحرارة في الصحراء، أما الطرف الثاني فأكد على ضرورة عدم صرف أموال باهظة على المشروع الذي قدرت تكلفته آنذاك زهاء مليار فرنك فرنسي، لذا قررت اللجنة البرلمانية الفرنسية إلغاء تنفيذ المشروع رغم محاولات الإقناع العديدة التي قدمها أصحاب هذا المشروع.[2]

بقي أمر البحر الداخلي يشغل البال حتى السنوات الأخيرة من القرن 19 م، وطرح عام 1856م، للنقاش مرة أخرى من طرف عدة هيئات علمية ورأسمالية، وكانت معظم النظريات معارضة بسبب ضخامة التكاليف، والصعوبات التقنية ووجود شط الجريد فوق مستوى سطح البحر حسب بعض النظريات.

فدفن المشروع حتى عامي (1952-1953م) ثم بعث من جديد بعد أن أكّدت الحفريات التي كانت تجري للبحث عن زيت البترول على وجود صلة بين البحر المتوسط ومنطقة

1 - نفسه، ص87.

2 - حليمة زواوي، خالد أوعيل، ليلى بوعكاز، المرجع السابق، ص48.

الشطوط في العصر الجليدي على نظرية "بوميل" في القرن الماضي، وفي عام 1957م، تألفت جمعية لأبحاث التقنية لدراسة البحر الداخلي (أرتميس).

Association des recherche technique pour l'étude des mer intérieures du Sahara (A.R.T.E.M.I.S)[1]

تزعّم الكونت " إيفيز ميشال دوبيريدون" فكرة إحياء مشروع رودير، وتمكنت الجمعية من إيصال ملف هذا البحر الداخلي إلى مكتب الجنرال "دوفول" عام 1958م، واقترحت استعمال 50 قنبلة هيدروجينية لشق قناة هذا البحر بين الواحدة والأخرى بضعة ثوان على أن يكون عمقها 400 و 500 متر ياردة، وعمقها بين 1.5 و.2.25 والربع ياردة، وتمد عبر شط الجريد، وليس شماله ويقام سد ضخم في توزر لتوليد الكهرباء، وتنجز هذه القناة والبحر في ظرف بضعة شهور بدلا من ثماني سنوات التي اقترحها رودير في القرن الماضي.

وبعد عام 1959م، واصل اتحاد التعدين الفرنسي (هيرنست) بحث الموضع مع وزارة الأشغال العامة للحكومة التونسية، ولكن فرنسا كانت منشغلة بمحاربة ثورة الجزائر الوطنية، ولم يكن باستطاعتها الاهتمام بأمر هذا البحر، ثم طردت بصفة نهائية من الجزائر في 5 جويلية 1962م, وكل إفريقيا[2]، حيث ظل في الأخير هذا المشروع مجرد حبر على ورق، وذلك نظرا للصعوبات التي لقيها هذا المشروع من تكاليف باهظة وغيرها.

---

1 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص- ص(87-88).

2 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص88 .

الخاتمة

على ضوء دراستنا لموضوع المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية الكبرى في الصحراء الجزائرية في النصف الثاني من القرن 19م واتخاذنا مشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874م كأنموذج لجملة هذه المشاريع التي لا تخدم إلا مصالح المستعمر وغاياته، توصلنا إلى نتائج تعد مهمة نبرزها في النقاط التالية:

- إن الصحراء الجزائرية بحكم مساحتها الشاسعة وثرواتها الطبيعية المتعددة، قد شكّلت عنصر جذب واهتمام لسلطات الاحتلال الفرنسي وهو ما جعلها تسعى جاهدة لاحتضانها وتنفيذ مخططاتها بها ذلك ما جعل الرحلات الاستكشافية الأوربية للصحراء وخاصة الصحراء الجزائرية، مستمرة من مختلف دول أوربا، تعد هذه البعثات الاستكشافية في ظاهرها تحمل غايات وأهداف علمية عكس ما تخفيه من نوايا الدول التي كانت تابعة لها، والتي كانت في معظمها تطمح إلى معرفة خبايا الصحراء فبذلك مثلت هذه الرحلات أو البعثات، حملات استكشافية ذات صبغة إستخباراتية.
- شكّلت تقاريرها إضافة إلى الرسائل والخرائط وجل المخططات المبرمة أحد أهم الأدوات التي اعتمدتها هذه الدول في تطبيقها لمشاريعها المستقبلية في السيطرة على الصحراء. ولم تشكل الصحراء الجزائرية استثناءً عن هذه القاعدة حيث شكّل الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م قاعدة انطلاق لمشاريع فرنسا في الصحراء الجزائرية والتي بدأت التوسع فيها وتنفيذ مخططات لم تكن وليدة الصدفة ولا وليدة اللحظة، بل كان التخطيط لها مبرمجا منذ زمن بعيد، كون العملية بدأت منذ إرسال البعثات الأولى من المغامرين والمستكشفين من بينهم رجال الدّين من المسيحيين لإقامة الجذور الأولى للتوغل في الصحراء، والذين تقمصوا بدورهم أدوارا متعددة لكن حقيقتهم تمثلت في كونهم شبكة من الجواسيس المتمرسين في صورة رجل دين وأطباء ومستكشفين وعلماء ومتسولين حتى أنهم أظهروا اعتناقهم للدين الإسلامي للتمويه عن أهدافهم ونواياهم، لكن كل تلك الأساليب لم تمنع السكان المحليين من اكتشاف ذلك ما أدى إلى هلاك الكثير منهم.
- ككل إقليم من أقاليم الجزائر الرافضة لأي نوع من الاحتلال أو الخضوع لأي سلطة خارجية، كان لسكان الصحراء ردود فعل عنيفة عبّرت عن الرفض القاطع للاحتلال وتجسد ذلك في تلك المقاومات الشعبية التي انفجرت في مناطق عدة، ورغم شدة هذه المقاومات إلاّ أن وقع المستعمر عليها وإصراره على إخضاعها بمختلف السبل حال دون تمكن هذه المقاومات من طرد أو لفت أنظاره عن الصحراء.

- هذا الإقليم المتميز بخصائص جمّة من لغة ودين وتراث عريق جعله مستهدفا من طرف القوات الفرنسية سواءً للقضاء على هويته ومقوماته أو لنشر ثقافته خاصة نشر الدين المسيحي على حساب الدين الإسلامي وفَرنسة سكانه.
- وهذه السياسة كانت تمثل شبه استثناء لما تطمح فرنسا حقيقة لتجسيده في الصحراء الجزائرية فكل ما استولت عليه في شرق البلاد وغربها من خيرات لم يمنعها من الطمع فيما تزخر به الصحراء، فسطّرت لذلك مشاريع عدة خاصة ما تعلق منها بالجانب الاقتصادي فمنها ما نفّذ كمشروع السكة الحديدية الرابط بين الشمال والجنوب، ومنها التي لم ترى النور كمشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874م وكانت هذه المشاريع الاقتصادية على اختلافها لا تهدف إلى خدمة مصالح سكان الصحراء بل كانت طريقا للسيطرة على المنطقة من أجل الشروع في تنفيذ مصالحها.
- البحر الصحراوي كان أحد أهم المشاريع التي كانت تسعى فرنسا لتجسيدها في صحراء الجزائر، فهو يعد من المشاريع الضخمة نظرًا لتكلفته الباهظة والإمكانيات الكبيرة التي قد يتطلبها في حالة الشروع في انجازه، فإذا حاولنا وصف هذا المشروع فإننا نقول أن فكرة المشروع تتلخص كون فرنسا أرادت أن تجعل من الصحراء أرضًا ملائمة لإمكانية العيش والاستقرار، فأرادت بهذا المشروع ربط الصحراء بمناخ شبيه بما تتميز به المناطق الشاملة من اعتدال في المناخ وخصوبة في الأرض.

وباختصار نقول أن هذا المشروع قد سطّر أصلاً للتغلب على قساوة الصحراء وجعلها مناطق جذب للمستوطنين بهدف تكريس وتقوية الوجود الفرنسي في عمق الصحراء الجزائرية واستغلال مساحاتها الشاسعة بربط الشمال بالجنوب، لكن مشروع البحر الداخلي بقي رغم ضخامته وشساعة المساحة التي كان يشغلها والأهداف الإيجابية التي كان سيحملها على الفرنسيين فإنه بقي حبرًا على ورق، ولقيَ معارضة شديدة من بعض الفرنسيين، فهو يهدف إلى إيصال مياه البحر المتوسط بالشطوط المنتشرة بالصحراء عبر قنوات وهذا لوحده يكلف الخزينة الفرنسية أضعاف ما بنيت به قناة السويس الشهيرة بمصر، هذا ما جعله غير قابل للتجسيد في تلك الفترة، لكن فرنسا لم تتخلى على فكرة المشروع الذي حاولت إحيائه ومتابعة تطويره حتى قبيل الخروج الفرنسي من الجزائر في سنة 1959م، لكن ضراوة المعركة لإخماد الثورة التحريرية حال دون التفاتها بشكل جدي للمشروع.

الملاحق

الملحق رقم (01): خريطة حدود التوسع الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي[1]

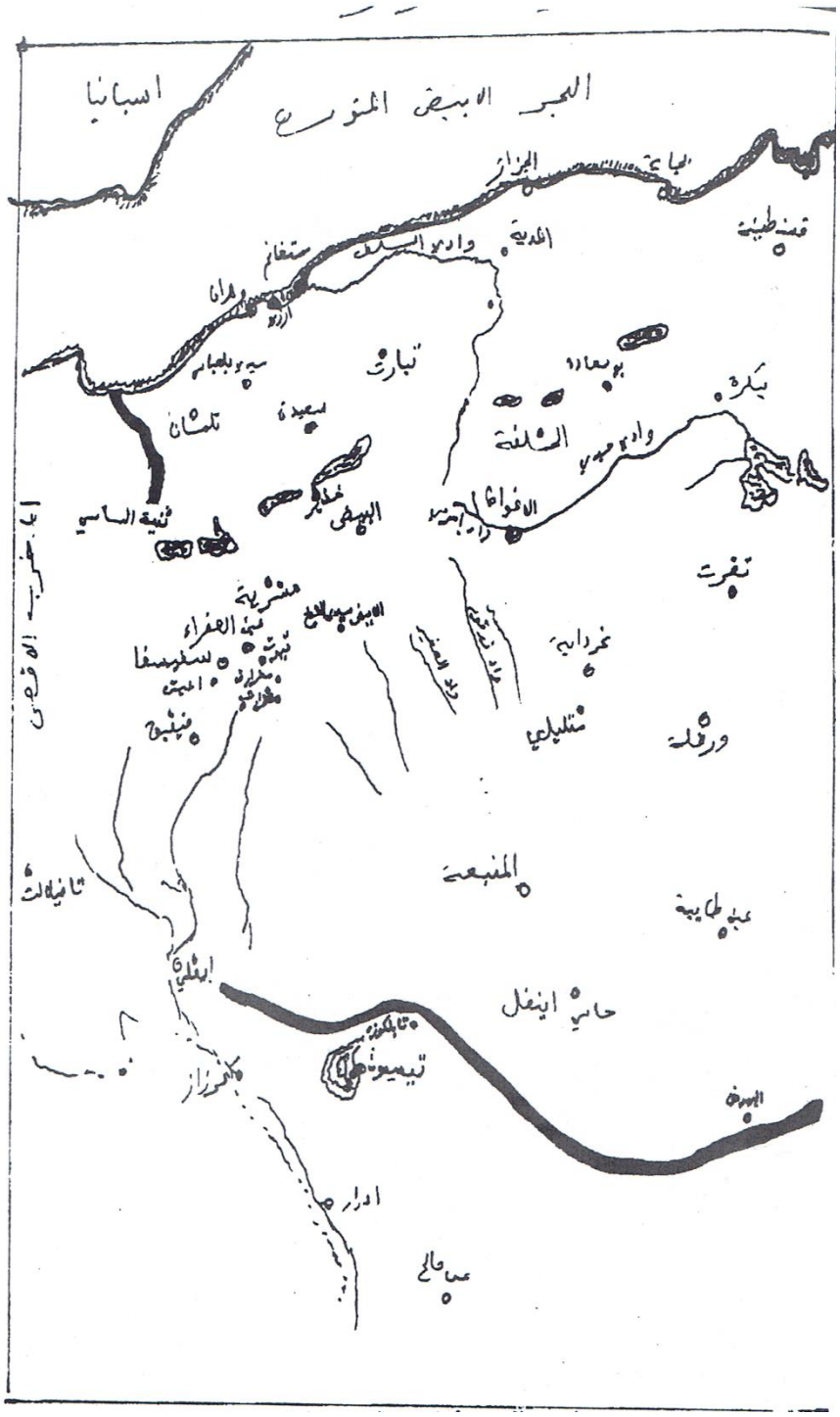

حدود التوسع

1- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص615.

الملحق رقم (02): خريطة موقع الزعاطشة والواحات المجاورة[1]

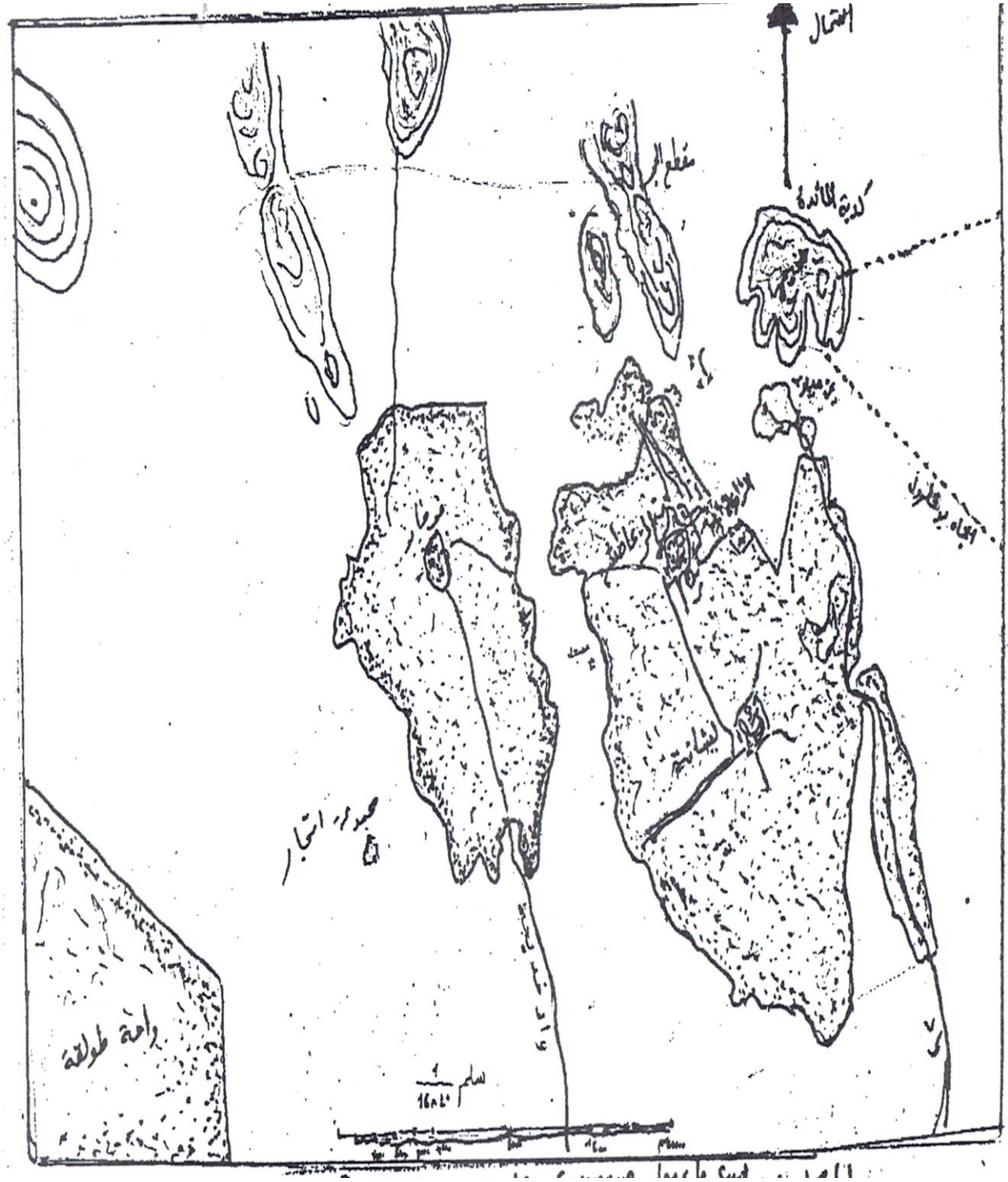

1- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص617.

الملحق رقم (03): صورة للنقيب جرمان والمهندس فلاموند[1]

1- الحاج التومي سعيدان، سكان تادكيلت القدماء والأشكال على النفس، (د.ن)، الجزائر، 2005، ص180.

الملحق رقم (04): خريطة مشروع البحر الداخلي الإفريقي[1]

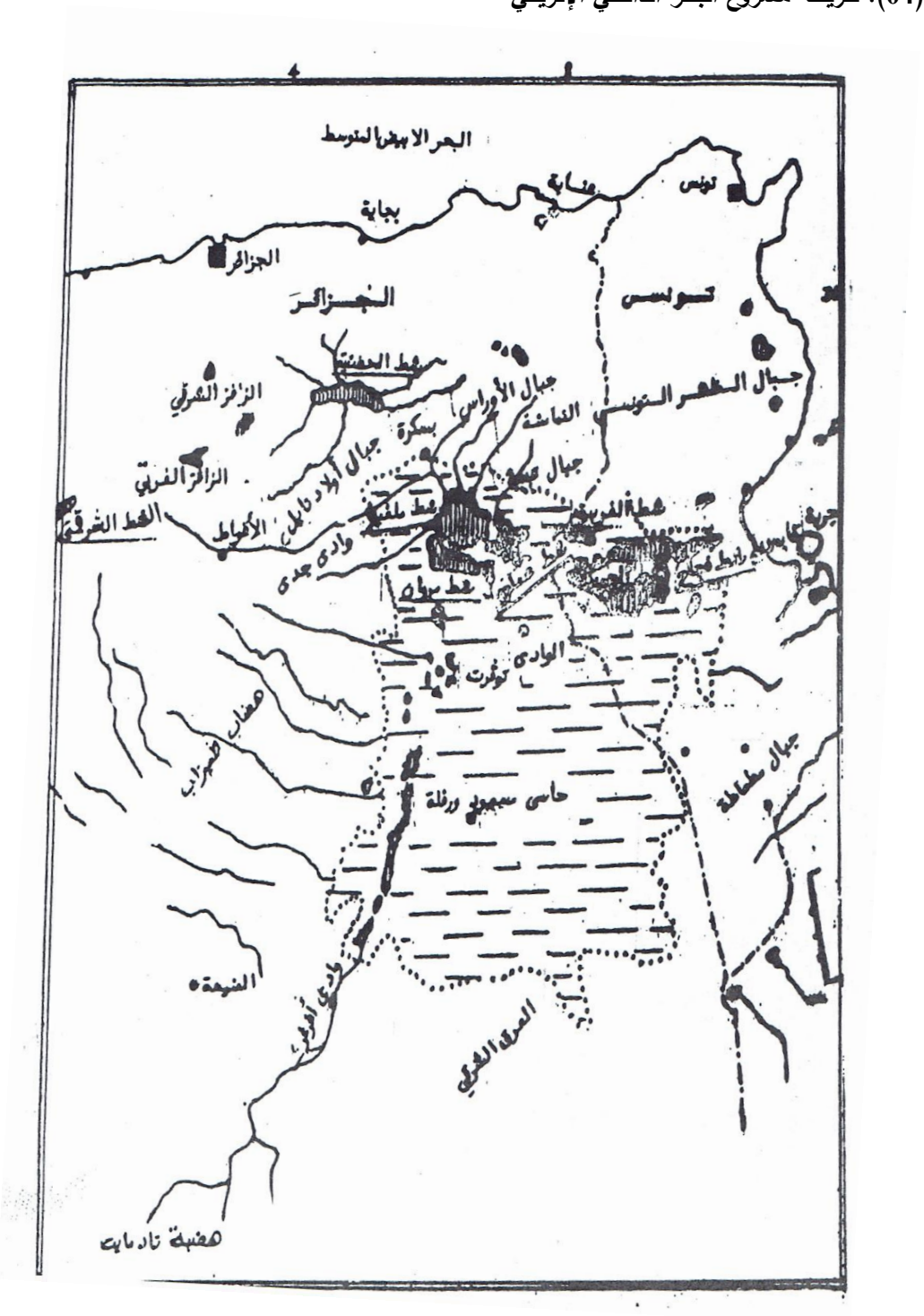

.....

حدود البحر الداخلي

1- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص89.

الملحق رقم (5): خريطة مشروع البحر الداخلي الصحراوي[1]

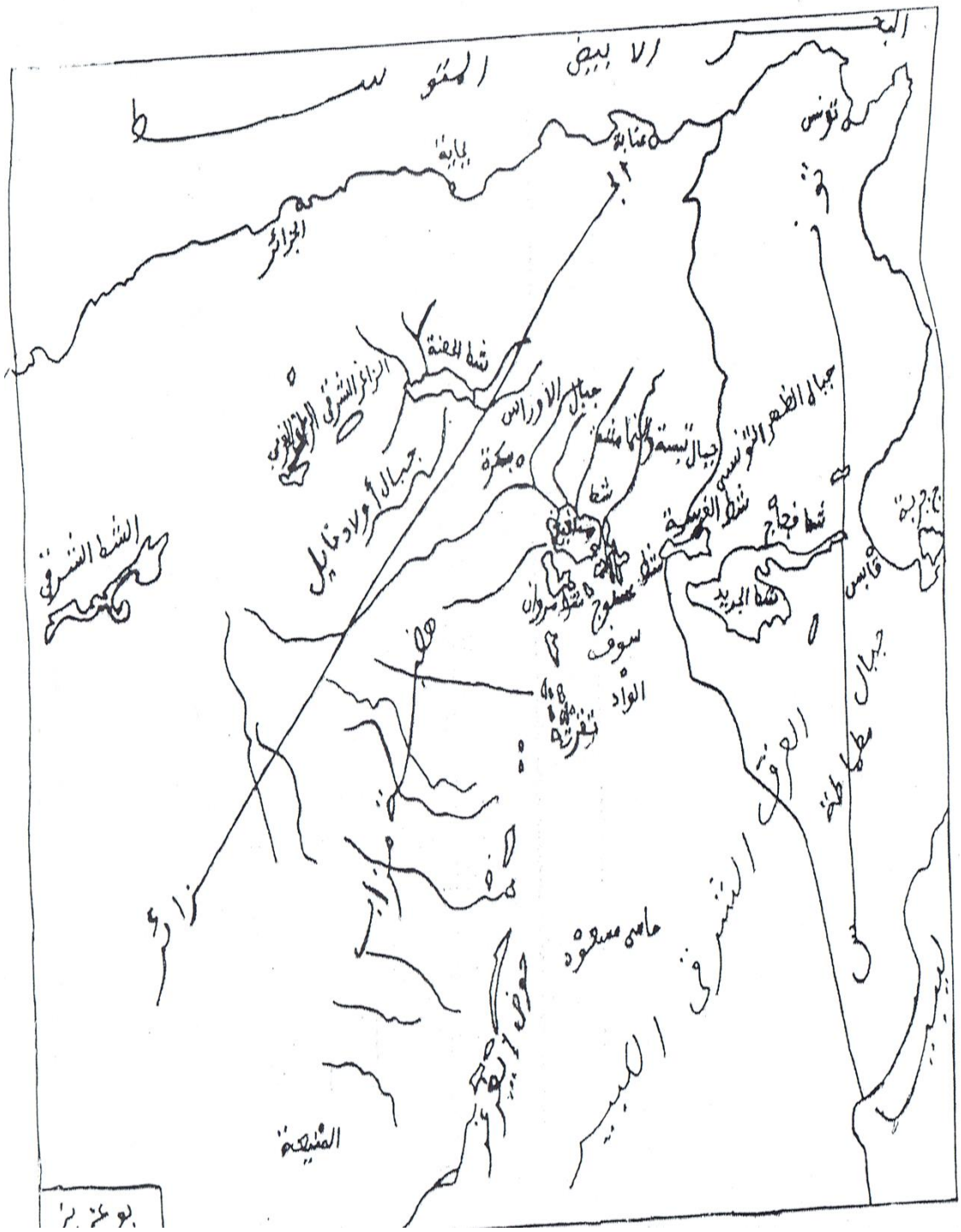

1-يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر...، المرجع السابق، ص101.

قائمة

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

أ-العربية:

1. جاكو فليكس، حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية خلال شهري أفريل وماي 1847، تر: حليمة بابوش، وزارة الرائد للكتاب، الجزائر، 2013.
2. دنهام كلابرتون، أودني، رحلة لاستكشاف إفريقيا، ج2، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م.
3. الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

ب-الأجنبية:

1. E.Delestre, A propos de la mer intérieure ou fausse interprétation géographique, Paris, 1874.
2. Henri Duvegrier, premier rapport sur la mission des chottes du Sahara de Constantine paris, 1875, p22.
3. Octave Sachot, L'inondation du Sahara le mer Algérienne et la Chin de fer de Philippeville à Tombouctou (R.BA, 1879, T.VI.
4. L'Afrique explorée et civilisée, journal mensuel (Genève, suisse Novembre 1879), N°5. et Abd ElKader : la mer du Sahara dans L'Afrique septentrionale (Bul Soc.G-Arch, Oran, 1883.
5. Bulletin de la Société de Géographie commerciale de paris, (paris, 1882-1883.
6. -L'exportation du Globe, journal des conquêtes de la civilisation sur tons des points, (paris 24-11-1879), N°19.
7. Ministère des Affaires Etrangères, commission supérieure pour l'escamen du projet de mer intérieure dans le sud de L'Algérie, présente par M-le commandant prouire(paris, 1882.
8. le projet de création en Algérie en Tunisie d'un mer dite intérieure devant les congres de B lios (paris, 1885).

ثانيا: المراجع

أ-الكتب:

1. إبراهيم عيسى علي، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، (د.م)، 2007م.
2. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
3. بوعزيز يحي، الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
4. بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
5. بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2009م.
6. بومهلة التواتي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، دار المعرفة، الجزائر 2012م.
7. الجمل شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ط2، دار الزهراء، الرياض، 2002م.
8. جوليان شارل أندري، تاريخ الجزائر الغزو وبداية الاستعماري (1827-1871م)، تر: جمال فاطمي، نادية الأزرق، فتحي سعيدي، حسين بن قرين، شركة دار الأمة الجزائر، 2008.
9. الجوهري يسرى عبد الرزاق، الكشوفات الجغرافية دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 1984م.
10. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

11. دسوقي ناهد إبراهيم، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 2001م.

12. زوزو عبد الحميد، محطات في تاريخ دراسات الحركة الوطنية والثورة التحريرية (على ضوء وثائق جديدة)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

13. سرير ميلود وآخرون، الواقع الأنثروبولوجي للصحراء الجزائرية في استراتيجية المشاريع التوسعية الاستعمارية خلال القرنين (19-20م)، وحدة بحث، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2009م.

14. سعيدان الحاج التومي، سكان تديكليت القدماء والاتكال على النفس، (د.ت) الجزائر، 2005م.

15. سعيدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1892م)، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

16. العربي إسماعيل، تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبرح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

17. العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م.

18. عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

19. عميراوي احميدة، سليم زاوية، محمد السعيد قاصري، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916م)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م.

20. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

21. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830–1954م)، ج3، دار البصائر الجزائر، 2007م.

22. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830–1954م)، ج6، دار البصائر الجزائر، 2007م.

23. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1900م)، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م.

24. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).

25. مياسي إبراهيم، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881–1912م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د.م)، (د.ت).

26. مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837–1934م)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

27. مياسي إبراهيم، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830–1962م)، دار هومه للطابعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

ب – الدوريات:

1. بوعزيز يحي، اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه، مجلة الأصالة، ع 72، أوت 1979م.

2. بوعزيز يحي، الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي، مجلة الأصالة ع25، منشورات وزارة الأوقاف الدينية والأوقاف، الجزائر، ماي –جوان 1975م.

3. دحدي مسعود، ثورة الشريف بن محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الاستعماري الفرنسي (1848–1895م)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، المركز الجامعي بالوادي، يوينو 2010م.

4. شلبي شهرزاد، الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية، مجلة كان التاريخية، ع11 مارس 2012م.

5. غنايزية علي، دور وادي سوف في معركة المقارين (1854م) وآثارها على المقاومة المسلحة في المنطقة الجنوبية الشرقية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، يوليو 2010م.
6. قريتلي حميد، أضواء على التنصير والمنصرين في الجزائر 1830-1892م، مجلة الدراسات التاريخية ع 15 و 16، شارع جمال الدين الأفغاني، الجزائر، 2013م.
7. بن محمد محمدو، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)، مجلة العلوم الإنسانية، ع20، 20 ديسمبر 2003م.
8. مريوش أحمد، توسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهوقار 1916م، مجلة المصادر، ع11.
9. مريوش أحمد، السياسة الفرنسية في الجنوب وردود الفعل الوطنية ما بين 1900-1930م، مجلة المصادر، ع20، السداسي الثاني، 2009م.

ت -الرسائل والمذكرات الجامعية:

1. بلحبيب أسماء، المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية الكبرى في الصحراء الجزائرية خلال النصف الثاني من القرن 19م (مشرعي البحر الصحراوي الداخلي 1874م والسكة الحديدية 1941م)، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، الجامعة الإفريقية أحمد دراية، أدرار، 2012م.
2. بلعشاش حنان، دور التيار الصوفي في الثورات الشعبية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013م.
3. تلمساني بن يوسف، التوسع الفرنسي في الجزائر (1830-1870م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2005م.

4. رواحنة عبد الحكيم، السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر (1870-1930م) مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014م.

5. زواوي حليمة، خالد أوعيل، ليلى بوعكاز، استراتيجية الاستعمار الفرنسي في إخضاع الصحراء الجزائرية خلال القرن 19م، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة المسيلة، 2015م.

6. علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية (1882-1954م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2009م.

الفهارس

أ

أدرار 11-23

اروان 10

أزاود 9

أزجيل 15

الأستانة 6

آسيا 35

الأغواط 14-20-25

افريقيا 6-7-8-9-1-11-12-
14-18-29-33-35-44

أمريكا 7-35-42

أمقيد 21

انجلترا 9-29

الأوراس 24

أوروبا 7-12-18-19-28-35-
43

أوغندا 9

آير 11

ايغرغر 15-38

ايغلي 11-23

ب

باتنة 14-19-20-21-36

باريس 42

باماكو 7

بتشوانالاند 8

برلين 11

بريش 10

بريطانيا 7-10

بسكرة 13-14-19-21-24-30-
33-36-36-40

بشار 23-33

البليدة 25-33

بورنو 8

بوسعادة 24

بني عباس 11-21-33

بني سمير 23

بيزانيا 7

البيض 27

بينما 14-42

ت

تازة 36

تازورة 22

تاسيلي 15

تاغيت 26

تافيلالت 9-10

تالمين 23

تبسة 36

التشاد 8-10-13

تقرت 20-21-26-33

تنجانيقا 8-9

تندوف 10-12-23

توات 6-9-13-14-21-23-33

التوزور 40
تومبوكتو 7-8-9-10-12-13-14
تونس 6-14-18-35-37-39-40-42
تيديكلت 10-13-14-21-23
تيستيطين 23
تيميمون 23
تين ترابين 22

ج

جانيت 14-26
الجزائر 9-10-11-12-13-20-23-25-27-29-32-33-35-36-37-39-42-44
الجلفة 33
جوا 8

ح

حاحا 6
الحجاز 6-13
الحضنة 12
الحمادة الصخرية 15

خ

الخنقة 23

د

دمشق 41

ر

الرباط 9
رقان 23
روسيا 28
الرويسات 25

ز

الزاب 36
الزمبيزي 8-36
الزيبان 15

س

سريانة 24
سعيدة 33
سكيكدة 14
السنغال 7-9-13-14
السودان 6-7-15-32-33
سوس 6-10
سوكوتو 8
السويس 35-39-42
سيراليون 8

ش

شاروين 23
شاري بينما 8
شط الجريد 36-38-39-40-43
شط الحضنة 36-39
شط رارسة 40
شط عسلوج 35
شط الغرسة 36-38

شط فجاج 36-37-38-40
شط مروان 36
الشلف 36
ط
طرابلس 6-8-9-10-11-13-14-15
طنجة 9-11
طولقة 24
ع
العرق الكبير 15
عين صالح 9-10-11-13-14-15
غ
غات 10-14-15
غدامس 9-10-11-13-14-15
غرداية 11-14
ف
فاس 6-9
فرفار24
فرنسا 10-13-18-22-26-28-32-44
فزان 10-13
فقيق 11-23
فكتوريا 9
ق
قابس 36-38-39-40-41-42
قامبيا 7
قسنطينة 13-14-20-33
قصور جميات 23
قفصة 40
القليعة 11-25
قورارة 10-13-14-21-23-26-31
ك
كلمانحاروا 9
كلهاري 8
كوكا 8
كولومب 23
الكونغو 9
ل
اللوالابا 9
الليبية 6
ليشانة 24
م
متليلي 25
المحمدية 33
المدية 33
مراكش 6-8
مرسيليا 33
مصر7-13
مطماطة 36
المغرب 7-10-18-22

ملغيغ 36-37-38-39-40
المنيعة 6
ميزاب 14-36

ن

نجامي 8
نفطة 40
النيجر 7-8-10-14
النيل 8

هـ

الهقار 11-14-20-21-22-26-
33-36
الهوسا 8

و

واحة جنات 26
واد ريغ 15-33-36
واد زيز 11
الوادي 13
وادي تيت 22
وادي درعا 11
وادي الساورة 11
وادي سوف 13-20-25-37-38
واد الناموس 23
وادي النيل 7
ورسول 23
ورقلة 6-14-25-26-33
وهران 11-33

أ

احمد عبدو 10

احمد سلطان 26

الإدريسي 6

ادوارد بلانك 15

ادوارد فوجيل 13

إسماعيل بوضربة 14

اطانو 14

الأغواطي 12

أفازاك 10

الكساند قوردن لاين 9

الأميرعبدالقادر 19–22–24–25–41–42

أدوني 7–8

أوسكارلانز 9

أوفرست بوميل 39

أوفيرويج 10

وأكتاف ساشو 39

أيدين 14

أيروين باري 11–15

ايفيز ميشال 43

ب

بريمو 29

ابن بطوطة 6

البكري 6

بلجرينوماتوشي 11

بوتان 13

بورغاد 31

بوريان 33

بوزيان 24

بوشاند 30

بوشوشة 26

بوعمامة 27–28

بول ليروابوليو 18

بوليمي 30

بولينياك 15

بوميل 43

بيربروجر 13

بيرتون 8

بيري 22

بيجو 19–29

بينيتز 12

ت

تاردتانو 14

ج

جان 21

جان جاك روسو 31

جورج أولاين 40

جول فيري 31–42

جونار 21

جون دافيدوس 10

جون لديار 7

جيرهارد رولف 10
جيرهارد روهلفس 15
ح
الحاج علي أبوطالب 12
أبو حسن الوزان 6-12
الحسين بن محمد بن السعيد الورتلاني 12
ابن حوقل 6
خ
ابن خلدون 12
د
دافيد ليفنجستون 8
الدرعي 12
دو 14
دوبيريدون 43
دولاكروا 26
دوليستر 38
دوفريسيني 39
دوفوكو 15-21-26-30
دوفول 43
دوفيريي 11-38
دي بونشال 32
ديريكافيكس 15
ديكسون 7
ديليسبس 35-39-41-42
دينهام 8
ديفو 21
ر
راندون 14
روتان 11
رونتجن 7
رودير 35-38-39-40-42-43
روير 40-42
ريتشارد 10
رينييه باصيه 14
رينييه كاييه 14
س
سافوريتان دوبرازا 9
سان جرمان 19-24
سبيك 9
ستانلي 9
سليمان 27
سولت 18-19
سيرفان ديسبلاس 15
سيرفيير 23
ش
شارل جونار 23
شارل لافيجرى 15
شاردني 22
شارل دوفوكو 30
شوازي 33

ص

الصادق بن الحاج 24

ع

عبد الحفيظ الخنقي 24

عبد السلام 26

ابن عبيد الله البكري 12

عثمان بن الحاج 9

علي 12

العياشي 6-13

غ

غوردون لانغ 8

ف

فرحات بن السعيد 21

فريستيان 33

الفضيل 27

فيلات 14

فلاتز 14-15-33

فلاماند 14

فولتير 31

الفونسور ماريا ماساري 11

فيرديناندوفو 15

فيكتور لارقو 15

ك

كاربوشيا 24

كاوسن التارقي 26

كايل 8

كلابرتون 7-8

كوتينست 21-22

كوسون 40

كوفي 15-22

ل

لابرين 21-23

لابي 10

لافيجري 19-30-31

لامي 15

لاند 10

لوتورنو 40

لوران لايبير 26

لوكاسن 7

ليد بارد 7

ليوطي 23

ليون الثاني 12

ليون روش 30

م

مارميه 21

محمد بن عبد الله 25

ميرشير 15

ميري 8-15

ميني 26

موتيلا نسكي 14

موريتس فاغنر 10

موريه 30

موسى آق مستان 22
مو نتيسكيو 31
مونقو بارك 7
ن
نابليون الأول 7
بن ناصر بن شهرة 25–26
النعيمي 25
هـ
هاري جنستون 9
هنري بارث 8–1–13
هنري دوفيرييه 14
هيري لامبير 9
هيرنست 44
هوجتون 7
هورنمان 7
و
وليم أوزيل 8

الإهداء	
الشكر	
المقدمة	01
الفصل الأول: الحركة الكشفية الأوروبية والاهتمام بالصحراء الجزائرية	**06**
أولاً: الاهتمام الأوروبي بالصحراء الإفريقية	**06**
ثانياً: البعثات الأوروبية الاستكشافية للصحراء الجزائرية	**09**
ثالثاً: البعثات الفرنسية الاستكشافية للصحراء الجزائرية	**12**
الفصل الثاني: المشاريع الفرنسية التوسعية في الصحراء الجزائرية	**18**
أولاً: التوسع العسكري الفرنسي في الصحراء الجزائرية	**18**
ثانياً: ردود فعل سكان الصحراء تجاه التوجه العسكري	**23**
ثالثًا: تجسيد المشاريع الاستعمارية في الصحراء الجزائرية	**28**
الفصل الثالث: مشروع البحر الصحراوي الداخلي1874م : الأهداف والأبعاد	**36**
أولاً: دوافع المشروع	**36**
ثانياً: تجسيد المشروع وأهدافه	**38**
ثالثاً: ردود الفعل الوطنية والفرنسية من المشروع	**42**
الخـاتمة	**46**
ملحق الخرائط والصور	49
قائمة المصادر والمراجع المعتمدة	55

فهرس الأماكن والمدن	62
فهرس الأعلام والشخصيات	66
فهرس المحتويات	70

تم بحمد الله